وزارة الثقافة
دار الثقافة والنشر الكوردية
التسلسل (٤١)

من وجع الارض وأنين الانسان

مجموعة قصص كردية

ترجمها الى العربيه

مسرية عثمان نيركيس حاجو

من وجع الأرض وأنين الإنسان

مجموعة قصص كردية

ترجمها الى العربيه

حسين عثمان نيركسجاري

تصميم الكتاب ودع الغلاف فني محمد غلام السعر/ ٣٠٠٠ دينار مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

من وجع الارض و أنين الانسان

مجموعة قصص كردية

ترجمها الى العربية

حسين عثمان نيرگسجاري

2008

- اسم الكتاب : من وجع الارض و أنين الانسان
- الموضوع : مجموعة قصص كردية
- ترجمها الى العربية : حسين عثمان نيركسجاري
- التنضيد : كريم رؤوف
- رقم الايداع : سنة 2008وزارة الثافة
- الطبعة الاولى

التقديم الى :

جميل صائب
عبدالمجيد لطفي
من رواد القصة في كردستان و العراق

كلمة لابد منها

اختمرت فكرة ترجمة قصص كردية الى اللغة العربية عندما اقيم في السليمانية (كانون الاول / 2007) مهرجان (گلاوێژ الادبي)، وحضره جمع غفير من الادباء والمثقفين العرب، وخصصت كثير من جلسات وفعاليات المهرجان للقراءات الادبية والثقافية للضيوف من الادباء العرب، وبذلك اغني المهرجان ورفد مع بساتين ناضرة خضراء اخرى من الابداعات والافكار الانسانية الجميلة.

في الجلسات المخصصة لتقييم النصوص الادبية وخلال المناقشات الهادئة بين الحاضرين، القى أحد ادباء العرب كلمة رائعة وهادفة, وفيها أوضح بان المثقفين والادباء العرب يطلون – مضطرين – على فضاء الثقافة الكوردية من خلال هوامش الصفحات الثقافية في الصحف والمجلات وليس من خلال النصوص الابداعية والمنابع الاصيلة المباشرة، استقبل ما قاله الاخ كعتاب رقيق موجه الى الادباء الكورد, ان ملاحظة الاخ تلك فيها شيء من الواقعية, ان اديبا عربيا آخر قام مشكورا وخفف نتفا من ذلك العتاب, وقال: ماذا يقدم الادباء الكورد في الوقت الذي ظهر خلال حقبة الثمانينات من القرن الماضي, فيض من روايات

وقصص عربية مسيَّسة, وكانت كطبول تردد هذيان وأصداء الحكام الشوفينيين، ومن الطريف ان الابطال المحوريين في تلك الروايات والقصص كانوا بالنتيجة اما مدراء للأمن في محافظات كوردستان او قادة عسكريين متنفذين، فكيف بالشخوص الاخرى!! ومن هنا تبلورت لديّ ولدى السيد المدير العام للثقافة الكوردية الدكتور فؤاد حمه خورشيد فكرة البدء بترجمة عدد من القصص الكوردية الى اللغة العربية، علما بانه سبقنا كثير من الكتاب الافاضل قاموا بترجمة قصص بل مجاميع قصصية وروايات ودواوين شعرية كوردية الى اللغة العربية وخاصة في حقبة التسعينات وبعد تحرير العراق/ 2003. وفي رحاب ذلك المهرجان وعدني الدكتور فؤاد بطبعه مجموعة قصصية مترجمة الى اللغة العربية، فكانت هذه المجموعة كباكورة متواضعة، غايتنا الحقيقية من هذا العمل، هو التلاقح الانظف والانقى بين الثقافتين العربية والكوردية، آملين ان يساهم التلاقح المستدام في تعرية وإفشال ثقافات التنافر والاحقاد.. ثقافات النظرة الدونية الى الآخرين، والتي تنامت في مختلف الحقب التاريخية في العراق وخاصة من الحقبة الستينية الى عام تحرير العراق / 2003. انني هنا لا أشير الى تلك المثالب والجروح الا من منطلق: (من الكي قد يجيء الشفاء). لابد ان اشير هنا الى ان اختيار النصوص لم يكن عشوائيا، بل رايت ان اختيار القصص الحاملة لمعاناة الانسان الكوردي وولع الحفاظ على الهوية أولى بالاختيار من العناوين

الاخرى، ويحدوني الامل ان يقوم آخرون مستقبلا باختيار أنماط اخرى من القصص والروايات الكوردية الحديثة، واخيرا انقل هنا بيتين للشاعر نزار قباني من قصيدته الطويلة (**إفادة في محكمة الشعر**):

من شحوب الخريف من وجع الارض
تلوح السنابل الخضراء
من جراح المناضلين ولدنا
ومن الجرح تولد الكبرياء

مترجم المجموعة

حسين عثمان نيرگسجارى

السليمانية

2008/5/1

حفرة كبد العجوزة

حسين عارف

- من مواليد 1934 / السليمانية.
- خريج كلية القانون / جامعة بغداد عام 1964 – 1965.
- عمل كمناضل في الحركة الوطنية العراقية والكوردية لأكثر من عشرين عاما وذاق مرارات السجن والفصل والابتعاد والتشرد.
- بدأ في عام 1950 وبتشجيع من الشاعر (گۆران) الخالد بالشعر ثم بالقصة وأصبح في هذا الفن الادبي احد الفرسان المبدعين.

﴿ نبذة من نتاجاته الادبية والثقافية ﴾

- له أكثر من (20) دراسة أدبية في القصة والشعر والرواية ودراسات سياسية.
- له أكثر من (6) مجاميع قصصية وأكثر من (3) رواية.
- وله كذلك (4) كتب بالعربية (ترجمة وتأليفا) في الدراسات الادبية.
- له عشرات المقالات في الادب والتراث والثقافة، وهي منشورة في الجرائد والمجلات العربية والكوردية.
- أحد مؤسسي (إتحاد الادباء الكورد).

- **أعلن في سبعينات القرن العشرين مع عصبة من رفاقه الادباء الكورد عن ولادة انعطافة حداثية تقدمية في مسيرة الادب الكوردي بكافة مفاصله باسم (روانگه – المرصد).**
- **عمل في الصحافة الادبية والثقافية كرئيس تحرير .. رئيس أو عضو مجلس الادارة.**
- **أصبح عضوا بأول برلمان كوردستاني في عام** 1992.
- **ساهم مع عصبة من الادباء والمثقفين عام** 1998 **في تأسيس مؤسسة (سردم – العصر) للطباعة والنشر في السليمانية، ولازال أحد العاملين في هذه المؤسسة.**

حفرة كبد العجوزة (1)

- 25 نيسان 1963 ؟
- نعم.
- في ذلك اليوم خطبتم له بنتا؟
- نعم ... نعم...
- لم يسمح لكم سلخ حلقة الزوجية من يده، هذا هو جثمان شهيدكم.

حلقة ذهبية متربة وكيس من بقايا الجسم ورفاته سلّم الى رجل مسن, تراه من جهة يزرف الدموع مدرارا على الكيس ومن جهة اخرى تراه كأنه بُشّر بحياة جديدة لشهيده.

- اللعنة عليكم.. منذ تسعة اشهر وانتم تتواعدوني وتخادعوني.. تسعة أشهر تجّرعوني آلام الظنون والريبة, الا انه رغم ذلك كان سعيدا، فأخذ حجة الشهادة وكبسها في جيبه ثم أخذ كيسا من رفاة ابنه.
- وماذا عن ابني؟! أفديكم.. أفديكم ابني؟

كانت عجوزة ومنذ مدة تتضرع وتتوسل بنشيج ودموع وهي تلهث وتكافح.

- كل من جاء وجد فلذة كبده في التراب.. إلا فلذة كبدي.. أنا!

في دخيلة نفسها كانت تحسد بالآخرين.

- جدتنا العزيزة! كوني واثقة بأننا كالآخرين سنجد كبدك.

في ذلك اليوم كان معلم كُلف بالبحث والكشف عن أكباد أهل المدينة.

- أليس لهذا الشهيد وليّ؟

أشار أحد من (البيشمرگه – الفدائي) بفوهة بندقيته (كلاشينكوف) الى جمجمة رميمة وكومة عظام في حفرة وخرق من چوخه وهو, بلون التمر ملفوف بسروال اسود، ولم يجب احد من الزحام الحاضرين.

- يبدو انه بلا وليّ وقريب.
- يمكن انه من غير المدينة.
- يبدو بحذائه المحلى انه من أهل الريف.

هكذا تحاور المعلم والفدائيون (بيشمرگه) فيما بينهم.

- عزيزي حمه! يا لفجيعتي لا أعثر حتى على عظامك!

بهكذا العويل والتشيج تبكي العجوزة وتصيح.

- أرجوكم .. يا معلم يا ناس.. يا (بيشمرگه) .. لله أعثروا على ابني الوحيد (حمه).

العجوزة من هول فجيعتها كادت ان تمطر الاحجار وتمسك السماء.

- اللعنة عليكم.. تصورت لـ (حمه) كل أنواع الموت سوى هذا الموت. أدفن الشيخ المسن كيس عظام ابنه في الوادي الواقع بعيدا من وادي الموت هذا.
- انهم كانوا وحوشا.
- إنشغالنا والهاؤنا بهذه الاحاديث لا يجدي شيئا، انهم هم ونحن ماذا؟!
- سُذج.. مغفلون.. أغبياء.
- حاملوا أكياس عظام أكبادهم هكذا يتحدثون عن السياسة وهم على حوافي الحفر واقفون.
- عثرنا على شهيد آخر.
- هكذا نادى أحد (البيشمرگه).
- بشرى.. ومرحى انه (حمه)!
- هاجت العجوزة بإندفاع.
- شال وشمك وزوج (كلاش دومى – ملابس كوردية وحذاء محلي).

- لإراه.
- هل كان لابسا الشال والشمك؟
- كلا.
- لا ضرورة لرؤيته.
- أنظري اليه جيدا.
- زوج (كلاش دومي).
- كلا.
- من المحبذ أن لا تنظر اليه.

العجوزة تتمنى الموت.. هربت غاضبة صوب السياج الشائك في منحدر الوادي، وبدأت تصرخ وتصيح بوجه المعسكر.

- عظامي.. أعيدوا لي عظامي.

من بعيد هُزتّ فوهة رشاش دكتاروف, وركب عليه شريط من الخراطيش، بفزع وجزع قام شلّة من الجنود وهم مرتبكون، ضابط وبسرعة ثبت عينيه على الناظور وقال لجنوده: كونوا في حيطة واستعداد، هؤلاء عنيدون غير متزنين، أخاف ان يقوموا بأعمال طائشة ومغامرة واثناء ذلك الهياج حصّن المعلم رأسه في حفرة قديمة للثلج ومنها صاح على العجوزة:-

- **يا جدة العزيزة! ابتعدي عن السياج حيث هكذا اتفقنا معهم.**
- **أين حفرة كبدي؟!**
- **تيقني أننا سنعثر عليه.**
- **أليس لهذا الشهيد وليّ؟**

لم يزل (البيشمركه) منشغلا بجذب أنظار الجماهير المحتشدة الى الشال والحذاء المحلي (كلاش)، والجماهير المحتشدة يجرجرون أجسادهم المنهكة نحو حفرة أخرى, وكأن جروحهم الغائرة تحرك أهدابهم, الكرك يقطع كبد الجدة كما وانه يعثر على كبدها.

- **مبكرا علمت ان هذه الحفرة لكبد شخص آخر.**

انها تتقادم وتتزاحم صوب حوافي حفرة واخرى.

- **جدة العزيزة! لا تكوني عقبة أمام أعمالنا.**

أحد البيشمركه ببراءة جرح مشاعر العجوزة.

- **هذه حفرة كبدي – هكذا يقول لي قلبي.**

بكفة الكرك والمجارف يعيش أمل العجوزة أو يموت.

فلترحل جثمان هؤلاء الشهداء الى مثوى آبائهم وأجدادهم, لماذا نتركهم في صحارى الغربة والوحدة؟

- هنا وادي الشهداء.. وهنا سحبوا في الدماء صفحات تأريخهم القاني.
- وهنالك تل الشهداء, وفيها زيّن الآباء والاجداد صفحات بلون أحمر.
- هذه حفرة كبدي.. هكذا يقول لي قلبي.. فقل لهذه المجرفة ان لا تخلد للراحة الى أن تعثر على كبدي.

ما يهم العجوزة ليس هذا التل أو ذاك الوادي, بل كل ما ترنوا اليه هو حفرة كبدها.

- حزام من قماش جيت اسود فاتح.
- أفدي أفواهكم.
- سروال و (ستارخاني – لباس كوردي).
- كلا .. لله .. لا
- زوج من حذاء..
- بمن ألوذ.. وبمن استغيث.. أين كبدي.. أين شهيدي؟

سقطت العجوزة على وجهها وكأنها تحفر الارض باهدابها.

- أفديكم أعطوني.. هذا ابني.

هذه ليست العجوزة بل إمرأة عمرها أكثر من 35 عاما, تزوجت مبكرا, زوجها الآن يتمالك نفسه واخنق البكاء في بلعومه باهتا.

- قلم (باندان) حفر عليه: (أمّا كوردستان وأما الفناء).
- آزاد .. يا روحي

بأعلى صوتها بدأت (أم آزاد) بالصراخ والعياط.. ثم همدت فتكومت في مكانها.

- لكم ولشهيدكم العزة والشموخ.

أبو آزاد كان سعيدا, فتأبط كيس العظام وخطا نحو واد آخر.

- يا معلم! هذا الشهيد بدون أهل فماذا نعمل به؟

قالها (بيشمرگه) الذي كان واقفا على حفرة الشهداء الذين لم يحضر أهلهم.

- يا معلم! الشمس على وشك الأفول.. أين حفرة كبدي؟
- جدتي العزيزة! لابد ان نعثر عليه.
- أنا أقول أين حفرة كبدي؟!
- .....

بدأت العجوزة لمرة أخرى تصرخ وتصيح بوجه المعسكر وهربت نحوه بهياج وبكاء.

- أين حفرة كبدي؟

إثنان من (بيشمرگه) احتضناها وهما يقبلان يديها المزروعة بالعروق والشرايين الدقيقة ووجهها الشاحب المجعد.

- **أين حفرة كبدي؟**

انتزعت نفسها من ايديهم وهربت صوب المدينة، والى وقت متأخر من الليل تنفجر صيحاتها وصراخها في أزقة وشوارع المدينة، وفجأة همد الصراخ والبكاء فلاذ الناس الى نوم هاديء.

اعتقدان لهذه القصة خلفية تـأريخية (1)

كتبت هذه القصة في مايس 1970 عن الكارثة المعروفة في السليمانية بـ (منع تجول الزعيم صديق عام 1963), بعد إستئناف القتال بين الثورة الكوردية وحكومة البعث عام 1963, ارسلت حكومة البعث زعيم صديق كقائد عسكري سفاح لقمع الثورة الكوردية في منطقة السليمانية. في الصباح الباكر ليوم 9 حزيران 1963 اعلنت بمكبرات الصوت براً وجواً حالة منع التجول في السليمانية وضواحيها, فسادت المدينة أجواء دموية رهيبة, فبدأ الجنود بتفتيش البيوت, وأخرجت الآلاف من أهل المدينة عنوة بملاس النوم واقتيدوا الى حامية السليمانية وسجنوا في اسطبلات الحيوانات, كما وقتل اثناء التفتيش وامام أهلهم عشرات من الرجال، ان المترجم لهذه القصة شاهد حي على قتل أخوين شابين من جارنا وأمام أهلهما ودفنا في باحة دارهما.

وبعد رفع منع التجوال تبين ان الجنود قتلوا اثناء التفتيش عشرات أمام أهلهم، كما ونقل عدد كثير من الناس الى حامية السليمانية وامام محكمة صورية حكم على عشرات من المعتقلين بالإعدام, فاطلقت عليهم النار ودفنوا في قبور جماعية قرب الحامية. بعد المفاوضات التي جرت بين حكومة عبدالسلام عارف والثورة الكوردية عام 1964 وحسب منهج احتفائي لائق سمح لأهالي السليمانية في شهر آذار 1964 بنقل رفاة شهدائهم الى تل الشهداء,

فمن المخاض العسير ذلك ولدت هذه القصة الرائعة فأصبحت خير خلف لخير سلف.

أما لهذا القلب ان يخفق ويتعظ ؟

بعد منع التجول المذكور اعلاه ب(22) سنة و بقصد جعل اعزة المدينة اذلة- اعلنت حكومة البعث في 985/10/17 منع تجول اخرى اعنف وارعن دموية و قسوة عن الاول ، ففى ساحات و شوارع عامة نظمت على رؤوس الاشهاد حمامات الدم لمئات العوائل و لكامل افرادها فاطلقت النار عليهم بعد ان هدمت دورهم كاملة امام مرأى الضحايا.

والان فهل الذكرى تنفع المؤمنين؟

حسين عثمان نيركسجارى

ملك الغجر

محرم محمد أمين

محـرم محمد أمين

- من مواليد 1921 – السليمانية
- أحد رواد القصة في كوردستان، ودخل ميدان الادب والثقافة من عام 1948 ونشـر مقـالات في مجلـة (نـزار)، وأغنـى المجـالات الثقافيـة والادبيـة والتراثيـة بمقالات وكتب وقصص
- كان أحد المناضلين البارزين في الحركة التحررية للشعب الكوردي
- من عام 1948 قبل في كلية الحقوق، الا انه ولأسباب سياسية لم يستطع إكمال الدراسة
- كـان أحـد أعضـاء هيئـة التحريـر لمجلـة (رۆژی نـوێ) ونشـر فيهـا مقـالات وقصص
- كان رئيس تحرير مجلة (شفق) عام 1960
- عمل في المجلات (السليمانية) و (بيان) و (شفق) و (رۆژی نوێ)
- جميع كتاباته كان في خدمة مسيرة الحرية في كوردستان ومن مؤلفاته:
  - البركة المضطربة مجموعة قصص 1957
  - تل الشهداء قصة طويلة – 1958
  - طريق الحرية قصة طويلة – 1959
  - الانسان مجموعة قصص 1969
  - حقوق الانسان مجموعة مقالات 1973
  - المباديء الاساسية للفلسفة – مترجمة
  - ترجمت عدد من قصصه الى اللغة الروسية
  - ثورة بارزان – مترجم – 1960
  - أفل هذا النجم الساطع من سماء كوردستان في 22 آب 1980

كان أسمر اللون, طويل القامة, وعمره يناهز الاربعين, من هواياته المفضلة وربما كوسيلة لقضاء الوقت, المسامرة والاختلاط مع الآخرين, كنت كلما اقترب من مضارب خيامهم بمنطقة (هومرمندان) في الطرف الجنوبي من مدينة السليمانية, يستقبلني بحفاوة وابتسامة عريضة, ويلحني ان ازوره هنيهة وأسامره في خيمته واحتسي معه الشاي, كنت ألاطفه ولا أرد طلبه المتواضع.

كلامه حلو ذو نكهة متميزة, في جلساتنا يقص لي سلوك وأخلاقيات ونمط حياة الغجر, ثم يحدثني عن أوصاف البلدان والمدن التي زارها, ومرات يطعم تلك القصص بنكات ساخرة ويبادر بالضحك قبل ان أضحك وخاصة عندما يأتي ذكر مراوغات وحيل الغجر حينما يخادعون ويتحايلون على نساء المدن, رغم سذاجة الغجر وبساطتهم, وكم من نساء المدن وقعن في كيد الغجر وخزعبلاتهم!

خلاصة القول, كان الرجل فطنا وفهيما, في تلك المرات التي أزايره, تبين لي انه مخلص وحنون على ابناء قبيلته وغيور على مصالحهم, كنت مبهورا بخصلتين في هذا الرجل, احداها: ذكره لي

كأحد الاغيار, عادات وسجايا الغجر, ويعتبر هذه بعيدة عن شيمهم وأخلاقهم, والخصلة الثانية هي: ان الرجل وأثناء فرحته وبشاشته وسرده للاحداث والنكات, تنتابه بصورة مفاجئة مسحة من الحزن والعبس ويظهر كل ذلك على محياه بجلاء ووضوح, يبدو كأن شوكة تنغزر في كبده, ولا يمر وقت, بل بعد هنيهة تنجلي الغمة عن سيمائه ويعود سريعا الى حالته السابقة من الانشراح وتتمات حكاياته.

مرة وعندما غادرته نوبة الحزن تلك, قررت أن أتجاسر, فسألته:

– أراك تكابد من ألم حاد, أليس كذلك؟

فأجابني باسلوب خشن جدا وطارت من فمه وباسلوب غير معهود –(كلا), فلم أنتظر منه هذا الجواب الفج, وتبين لي, انه كان مستاء من سؤالي ومحرجا له.

كان الليل في منتصفه, وكنت في غرفتي الواقعة بجانب الباب الرئيسي لباحة دارنا ومنشغلا بكتابة قصة, وبغتة سمعت دقة على بابنا, بإنزعاج وضجر وضعت قلمي وقلت لنفسي:

هل هذا وقت للزيارة؟ وعندما فتحت الباب, فوجدت (حسو آغا) واقفا يستأذن الدخول, أصبت بالذهول, ماذا يريد مني هذا الرجل في هذا الوقت المتأخر من الليل؟

لم يترك لي (حسو آغا) برهة لأسأله, فقال:

-هل تسمح لي بالدخول وأحادثك بعض الحديث؟

كنت في الحقيقة متبرما ومتشككا وكدت أن أرد طلبه فأسد الباب عليه, ولي في ذلك بعض الحق, فالغجر عندنا مصدر للحيطة والحذر, ولهم سمعة مريبة, وهم في عز النهار موضع رعب فكيف بنصف اليل!

الا أن وجهه الشاحب الحزين وضيافاته السخية لي في خيمته, أجبراني على السماح له بالدخول والاحتفاء به, فأجلسته قبالتي.

كان (حسو آغا) حزينا وأحيانا يركز نظراته على سقف الغرفة وأحيانا يفتل شاربه, أحسست أنه يعيش في دوامة وأزمة نفسية حادة, كانت أعصابه وكما بدا لي متشنجة بدرجة كادت أن تنفجر, يبدو انه يريد ان يسرع في تفريغ ما في سويداء قلبه وأعماق نفسه فيخلد الى الراحة والهدوء, الا انه لا يعرف كيف يبوح بسره.

كنت أرى في سيمائه جميع أنواع البؤس والشقاء, بصوت خافت لا يشبه أي صوت آخر بدأ بحديث ذي شجون:-

اني أكاد أن أتجنن وأتشرد في الوهاد والجبال فماذا أفعل وأنا انسان بدون كرامة واعتبار, لست انسانا, بل لست شيئا, فأرجوك ان تجد

لي علاجا وحلا لشقائي, وكان يسرع في بلع بصاقه, وفي زفيره أشعر بزمهرير من البرد والشقاء.

عاود حديثه, فقال:

منذ مدة أريد أن أبوح لك كل ما يجوش في روحي من السر والاسى, الا انني كما تعلم كبير قبيلة, فرأيت من العار والذلة ان يعلم أحد بما أعانيه, فكتمته الى ان وصلت هذه الليلة التي لا أطيق بعدها العيش مع ناري وأوارى, فها أنا لا أخلد الى الراحة والنوم وحتى لا أشتهي أي طعام, الليلة أحترق وأتلوى وأكابد من الحزن والارق, فقررت ان ألوذ اليك وأبوح بما يجوش في قلبي من اللواعج والاسى, وبدون هذا البوح سأتجنن فأتشرد في الجبال, فلم أجد أحدا اكثر منك وثوقا ونباهة وكذلك اعتقد انه بوسعك ان تجد حلا لمشكلتي, كنت الليلة مترددا في هذه الزيارة المتأخرة, الا اني رأيت من المحبذ ان أبذل جهدا وأتمشى لكي أروّح عن نفسي, واذا لم أنجح في زيارتك, فعسى ان أحصل على رشحة من نسيم بارد, فأطفأ بها جمرات قلبي وأخلد الى نوم هادىء, ورأيت من بعيد شعاعا يخرج من شباك غرفتك, فقررت هذه الزيارة ودققت الباب.

ملك الغجر صمت هنيهة, كنت أنظر اليه بإندهاش وحيرة, فما هي تلك المعضلة التي أوصلته الى هذه الحالة المزرية, أشفقت عليه

كثيرا وواسيته, فقررت ان أبذل قصارى جهودي لأساعده وأغوص أغوار نفسه ليذكر لي بصراحة مشاكله ومقاصده, ولذا تشابكت يدي بيده وبإبتسامة وحنان انساني قلت له:

* أخي أرجوك ان تكون صبورا وقويا أمام المصائب, فليس هناك عسر الا وبعده يسر, أرجوك ان تذكر لي بوضوح وصراحة مشكلتك, عسى ان أساعدك حسب طاقتي.

لما سمع الغجري كلمة (أساعدك), أحسست بإنشراح وإبتهاج في تقاسيم وجهه فقال:

* أقسمك بالله.. فهل هناك دواء وعلاج لهذا المرض الأليم.. فلماذا حرّم الله نحن الغجر من الطبيعة الانسانية.. لا وطن.. ولا قومية, ضاعت انسانيتي وانا ألوذ بك لتبحث فتعثر عليها.. وبدون هذا فسأصبح مجنونا أو أنتحر.

هكذا تحدث معي ملك الغجر, وبشدة ركز عينيه الدامعتين في عيني وبنهم ولوعة ينتظر مني الجواب.

قلت لنفسي: اذاً هذه مشكلته.. انه يريد ان يكون له وطن وقومية, أسوة بالناس الآخرين, ولكن كيف أساعده وأنقذه من اليأس و (اللاأمل), أو بمعنى آخر كيف أجد له وطنا وقومية؟ ولكي أتحرر من هذا المأزق المحرج قلت له:

* هذا التراب الذي تضربون عليه خيامكم, وطنكم وقوميته قوميتكم.

* وهل أنا لا أعرف ذلك.. ولكن هيهات هيهات, فقد ضاع وفشلت.. فلا أستطيع ان أعتبر أية قومية قوميتي, كما ولا أستطيع أن أعيش بدون الانتساب لوطن وقومية, وفيما مضى لم أكن هكذا أفكر ولا أبالي به.. كجميع الغجر أشعر بوجود نقيصة ما, واني أجهلها ولذلك كنت لا أباليا, الا انني ومنذ تلك الايام التي رأيتك مع عدد من رفاقك تجتمعون قرب مضرب خيامنا وبجانب شجرة الجوز, كنت أستمع الى أحاديثكم وآرائكم حول قوميتكم ووطنكم, وتتحدثون وتخططون لتحريره من محتليه, أقول ومنذ ذلك اليوم تحقق لي بأننا نحن الغجر لسنا من بني البشر, وكلما أراك أتذكر تفاهتي و (لا شيء)ي. أريد أن أكمل نقيصتي بكما لك, ولهذا كلما تتمشى في الامسيات وتعبر بين خيامنا, أتمنى كثيرا أن أجالسك.. فيا ليت كوني خادما وذا وطن وقومية, وليس ملكا للغجر.. آه ! إن مرضي صعب وعصي.. لقد خسرت وضيعت.

كان ملك الغجر وخلال ما يحادثني يرتجف كنوبة حمى وقشعريرتها وتفيض عيناه دموعا, صمت هنيهة ليمسح بمنديله الأحمر دموعه, ثم وبعصبية غير معهودة, قام بدون كلمة وداع أو

حتى تلويحة, ذهب بسرعة نحو باب المنزل ويقول لنفسه: لقد خسرت.. لقد خسرت.

عندما وصلت عتبة الباب فقد عبر ملك الغجر التواء دربنا وغاب عني, الأرق في تلك الليلة سيطر عليَّ ولم أنم, وصدى كلمات ملك الغجر الاخيرة تحتل أذني (لا وطن لي.. ولا قومية.. وأخيرا خسرت..!!)

في الصباح الباكر وبسرعة ذهبت الى مساكن الغجر فرأيتهم تحشدوا وهم يبكون وينوحون ويولولون لإنتحار أميرهم (حسو آغا).

(طيرُ أبابيل)

مصطفى صالح كريم

* ولد في السليمانية عام 1933.

* رجل كفؤ وشخصية تربوية وصحفية وسياسية، وفي الخمسينيات عرف كأبرز كتاب القصة الكردية المعاصرة في كردستان العراق وقد ترجم العديد من قصصه الى اللغات العربية والفارسية والروسية والانكليزية.

* في مطلع عام 1957 بدأ بالكتابة في صحيفة (ژين) الكردية التي كانت تصدر في السليمانية.

* نشر مجموعته القصصية (شهداء قلعة دمدم) عام 1960.

* نشر مجموعته القصصية الثانية (متشحة بالسواد في العالم الرابع) عام 1986

* كتب عن قصصه عدا النقاد الكرد نقاد بارزون امثال ياسين النصير وزهير كاظم عبود ويوسف يوسف.

* اصدر مجموعة قصصية مختارة من الآداب الاجنبية ونشرها بعنوان (ام الاحرار).

* صدرت له ترجمة مقالات عن فن القصة القصيرة.

* اصدر دراسة شاملة عن الشاعر بيره ميرد بعنوان (بستان من الكلمات).

* القي القبض عليه بعد انقلاب شباط 1963وبقي في الموقف ثمانية عشر شهراً.

* عمل معلماً ومديرا للمدرسة ومشرفاً تربوياً لمدة ثلاثين عاماً قدم خلالها عصارة فكره ونتاجاته التربوية ووضعها في خدمة العملية التربوية في التأليف والترجمة ووضع المصطلحات، واحيل الى التقاعد بطلب من مديرية أمن السليمانية عام 1984، زمن الارهاب الصدامي لمواقفه الوطنية.

* اصدر في عام 1966 مجلة (رابه ر- المرشد) باللغتين العربية والكردية وكان رئيساً لتحريرها، وكانت مجلة تربوية تعليمية ناجحة.

- التحق بثورة ايلول وعين مديراً لاذاعة الثورة من آذار 1974 الى آذار عام 1975.

-بعد مؤامرة الجزائر على الثورة الكردية عام 1975 وعودته الى السليمانية، ابعد الى مدينة الرمادي وظل فيها مابين اعوام 1975- 1978.

- انتخب لاربع دورات متتالية سكرتيراً لفرع اتحاد الادباء الكرد في السليمانية في سنوات ما بعد اتفاقية آذار 1970، وبعد المؤتمر الخامس انتخب رئيساً للفرع للفترة: 1978-1979.

* شارك في المهرجان المئوي للصحافة الكردية الذي اقيم في موسكو عام 1998.

* ساهم في مؤتمر المعارضة العراقية الذي عقد في مدينة لندن عام 2002.

* كان عضواً في مؤتمر المثقفين العراقيين الذي عقد في لندن عام 2002.

* شارك في المؤتمر الدولي الخامس والعشرين للصحفيين العالميين الذي عقد في اثينا في مايس عام 2004 ممثلاً عن نقابة صحفيي كردستان.

* كان عضواً في المؤتمر الدولي السادس والعشرين للصحفيين العالميين الذي انعقد في موسكو في مايس عام 2007.

* شارك في المؤتمرات التي عقدت باشراف I-F-J في عمان والقاهرة وأربيل.

* انتخب في المؤتمر الاول للصحفيين الكردستانيين في كانون اول عام 2003 نائباً للنقيب وانتخب ثانية لنفس المنصب في المؤتمر الثاني الذي انعقد في كانون اول عام 2008.

* ومنذ بداية عام 1997 عمل في صحيفة(الا تحاد) محرراً ومساعداً لرئيس التحرير.

* ومنذ عام 2001 ومازال يشغل منصب نائب رئيس تحرير صحيفة (الا تحاد).

* مايزال يشغل منصب نائب رئيس تحرير جريدة (الا تحاد) ويتولى ادارة مكتب (الا تحاد) في السليمانية.

شارعان مترابطان صارا صليباً

بخار قطعة دم حار

جريمة جديدة في المدينة

والشاهد:

العصفور الوحيد المكوم على شجرة البستان

هذا الشاهد الذي لا يدعى ابدا

الى محكمة !

-شيركو بيكس-

منذ ثلاثة ربيع لم تصدر كلمتا (بابا وماما) من شفتيك، كم بكيت لشقائك في وحدتك وغربتك، تآلفت دموعك مع خديك وصارا صديقين، كلما ترى صبية تنتابك لفحة ألم وتهز كيانك لا إرادياً، فتعود وتتذكر اللقاء الاخير، والآن عندما تتذكر تلك الكارثة الأليمة وتستعيد أيام طفولتك والتي تتجسد نصب عينيك، ترى بين الحلم والخيال عالماً مدهشاً فتتخبط، أشباح أحبائك الان تترائى لك في الرواح والمجيء، وانت تحاول أن تحتضنهم..الا ان كل ذلك الآن أصبح عبثا وقبضة ريح!!

في الصباح الباكر وقبل بزوغ شعاع الشمس، كانت الخضرة والندى تنثران على قريتك أريجها، الاحياء كانت تتيقظ تباعا، أغصان الأشجار الغارقة في الخضرة تهيء أثمارا طازجة لكم، الرجال يتوجهون الى جامع القرية لأداء صلاة الصبح، وكان حصان المختا ر يصهل، و جاركم العم غفور في شرفته متكيء على مخدته وزوجته خالة (خاوه ر) داهمها

سعال خفيف، وانت لا زلت على سطح الدار وامك منشغلة بلهيب تنورها وحيث تحولت الاحطاب الى جمرات متوهجة تنتظر الرغيف فبدأت بشويه، عندما رأيت أقراص الرغيف وشممت نكهته نزلت من الشرفة سريعا وقالت الأم:

لقد أحضرت الشاي وان كنت جائعا فهاك الرغيف وهناك اللبن. قالت الام ذلك وبغتة تخدرت يداها مع مخدة الرغيف، سمعت هدير مكائن السيارات، واختلطت قرقعة الناقلات وصهيل الحصان وثغاء الماعز والاغنام وخواء الابقار والعجول وقرقرة الدجاج، فكل هذه الاصوات المألوفة اختلطت بلغط وأصوات غير مألوفة لأناس غرباء لا تفهم لغتهم.

جميع الاحياء في قريتك استيقظوا من نومهم، نباح الكلاب بدأ من كل حدب وصوب وصياح الديوك علا من جانبي القرية.

من مكبر الصوت في الجامع أعلن احدهم لاهل القرية نداء غير معتاد:

(اجمعوا بسرعة ملابسكم واغطيتكم وأعدوا انفسكم، فمن الآن لن تبقوا في هذه القرية التي سنخليها و ترحلون الى مكان اخر، هذا قرار لا رجعة فيه وليس لأحد مخالفته، والذي لا يمتثل للأوامر، يعدم أمام الجامع رميا بالرصاص).

نواح وجزع النساء..ولولة العجائز وعويلهن وبكاء الاطفال الناعسين احدثت لحنا جنائزيا حزينا.

اصطفت ناقلات الجنود قرب جامع القرية وهي اشبه بحيتان فاغرة الافواه لابتلاع اهل القرية، انقسم الجنود المسلحون الى قطيعين، قطيع

يتجول في القرية ينفذ بسطوة السلاح القرار اللعين، حيث يسحبون الاهالي من أذرعهم ويحشرونهم في الناقلات.

اقترب القطيع من بيتك ومدوا أيديهم الى العم غفور وهو متكىء على مخدته، فقال للجندي غاضباً:

دعنى ايها التافه لن أبرح القرية دعوني أموت هنا.

فأتاه رجل أسود ضخم، طويل القامة، على ياقة قميصه تلمع نجمتان ذهبيتان وعلى صدره صورة رئيسه، فرفسه بسن حذائه وسحبه من ساعده، فزمجر العم بغضب منفجراً بوجهه:

اذاً فانتم تريدون قتلي، حسناً ان كنتم رجالا فهيا أقتلوني هنا! فسحبوه قسرا، ودفعوا وراءه خالة(خاوه ر) وهي تتضرع الى الله ، وعندما اخرجوها من باحة دارها، سمعت وهي تقول:

★الف شكرلله و (زوراب) ليس موجودا في البيت، أفديه وسلاحه .فلنذهب الى الجحيم المهم ان يبقى هو ورفاقه سالمين.

وجاء الدور على بيتك، كانت لحظة موت لن تنساها ابداً كانت اختاك قد انتفضتا من النوم وهما جاثمتان ملتصقتان بأمك، وكنت بجانب أمك تأخذ بيد صغراهما.

أحسست بان الدموع الساخنة التي تذرف من عيني أمك تكوى جبينك، وتظن انها تريد ان تقول لك شيئا لتقوم بعمل ما لحماية فلذات اكبادها الثلاث، الا انه لا أمل عدا الشقاء والبؤس، كان ابوك ينظر اليك ويتفرس فيك وهو مرتبك مشوش، وتقرأ في سيمائه أشياء كثيرة(أية ذكريات في تلك اللحظة تعصف به وتهزه؟!)بعد قليل من التردد قال لأمك:

***فلنذهب ولا يوجد حل اخر..ولننتظر ما قدره الله لنا.**

تحركت القافلة..وعندما وصلت مقبرة القرية توقفت، في هذه اللحظة قلت في نفسك:

(هنا وتحت هذه الشجرة الكبيرة علقت في الاعياد الارجوحة مع بنات القرية..رباه لا استطيع بعد اليوم ان ألعب ولا أركب المراجيح).

اصوات الانفجارات هزتك، تفجير المباني وعجاجها أحدثا عاصفة هوجاء وعلى سماء القرية، بدأت وحدة الشوفلات بهدم وتفجير مباني القرية، وكذلك فجروا الأحواض وينابيع المياه بـ(الديناميت) وبعد تنفيذ تلك الاعمال المنكرة عاد القطيع الى الناقلات ولم يكونوا خالي الوفاض، بل كان أغلبهم يحمل الدجاج والديك والافراخ وأجنحتها تدق وتصفق!!

القيت نظرة على المقابر فخيّل اليك ان حقول الحنطة والشعير والبساتين تصرخ وتزعق:

(لا تذهبوا ولا تبتعدوا عنا نحن من نتاجكم).

سيارة جيب قيادية كانت تمشي في مقدمة الرتل وهوائيتها ترقص والناقلات الاخرى تتبعها، ودع اهل القرية للمرة الاخيرة بنظراتهم الحنونة آخر منازلهم الخالية بل المدمرة، كذلك وبعيون دامعة ودعوا أحباءهم ضيوف المقابر، كان ملاحسن امام الجامع في ناقلتكم، وبعد قراءة الفاتحة لموتى المقابر قال:

(ياليتنا متنا قبل الآن، كم انتم سعداء يا اهل المقبرة لأنكم دفنتم في تربة قريتكم ولم تروا هذه الايام السود..)

بطرفة عين نظرت الى ابيك وهو يمعن النظر في الجبال العالية التي تودعكم من بعيد، رائحة وقود الناقلات تهيج الكبار وتقيىء الصغار، على رؤوس بنادق الجنود حراب حادة وهي موجهة نحو صدوركم، وكانت كعزرائيل مستعدة في كل مطبة على الطريق ان تغزر في رقابكم.

قافلتكم وصلت(طوبز آوا)، كان يوماً غير مشهود وكأنه يوم الحشر، فعشرات القرى في تلك الايام اصابتها نكبة قريتك وكلكم في المصيبة سوا.

حشد الناس في ذلك المعسكر، وحاصركم الجنود كقطعان الذئاب، مرت تلك الليلة وانتم في احضان الموت، كل واحد منكم شارد وينتظر مصيره المجهول، بعد بزوغ الفجر جمعوكم، وفرقوا الصبيان واليافعين والرجال عن النساء والاطفال، الآباء وللمرة الاخيرة احتضنوا أطفالهم ومزجت الدموع بحسرات شهيقهم ولهيب زفيرهم، وأبوك أغرق أطفاله الثلاث بالقبلات ثم توجه نحو امك قائلاً:

⋆(خه را مان)! اطفالك (تيمور، اختر ودولبر) أمانة لديك..ولاأعرف هل سأراك وترينني ثانية ولا أعرف كذلك اين ستسكنون؟وأين سأكون؟

سحب جندي أباك، انتم ومع رجال آخرين حشرتم في الباصات المعدة لكم، ثم تحركت السيارات وبعد هنيهة غبتم عن الابصار.

⋆⋆⋆⋆

انت الذي تربيت في أتون الشقاء والشجون، عمرك في ذلك الوقت كان عشر سنوات، الآن وبعد ثلاث سنوات تتراءى لك تلك الاحداث جميعا كشريط سينمائي.نقلت انت وامك واختاك الى باص آخر ملىء بالنساء والاطفال، ولا تعرف عن اخبار ابيك اي شىء.

مرة اخرى استأنفت قافلة الباصات الطويلة سيرها، دامت هذه الرحلة الى غروب الشمس، كانت الباصات وبسرعة فائقة تطوى المسافات الطويلة.

عشتم تحت رحمة فوهات البنادق، وحرابها المسمومة، في وقفة قصيرة وعن طريق لغط وأصوات خارج الباص علمتم بانكم في مكان مأهول، ويحتمل ان يكون مدينة، الا ان الحراس منعوكم من رفع ستائر شبابيك الباص ورؤية ذلك المكان، (خالة مريم) زوجة العم (ويسه) قالت بهمس:

*يحتمل ان المدن التي مررنا بها اليوم ظنت بأننا كنا في رحلة سياحية!

لم تبقوا في ذلك المكان كثيرا، فاستأنفت قافلة الباصات بطئ المسافات، حتى وصلتم في منتصف الليل تقريبا مكانا برّيا قفرا، أنزلوكم وعلى أضواء الباصات وبطرفة العين رأيت أباك، وكجميع رجال قريتك كانوا قد شدوا يديه من الخلف بـ(يشماخ) ه، شيء رهيب في تلك اللحظة لفت انتباهك:

رأيت عدة مكائن وآليات وحفرا واسعة وقلت في نفسك:

(من المحتمل ان يتركونا في هذه الصحراء الرهيبة بدون خبز وماء الى ان نموت..واذا صح هذا التوقع وبعد أن يغادروا هذا المكان الى حيث ألقت رحلها، أذهب مسرعا الى ابي فافك عصاب يديه ونهرب)

كانت الرمال والتراب حول الحفرة كثيرة بحيث تكفي لبناء عدة تلال صغيرة.

أمر الجنود بتعصيب العيون، فعصبت العيون بقماش الاحزمة..وبربطات وبراقع ومناديل وشالات النساء الممزقة، ارتفع زعيق

وصراخ الاطفال، هبّت في تلك الصحراء زوبعة مناحة نسائية وبأصوات رفيعة، الا ان الزوبعة مخنوقة لا تصل أصوات المنكوبين الى احد، قالت زوجة الملا وهي تجهش بالبكاء:

فلتخجلوا في الدارين، ألم تدعوا بان النساء والاطفال لا يمسون بأذى، وهناك مأثورة كردية تقول:

(حتى الكلاب لا تنبح بالنساء) ومع ذلك ها هم يعصبون عيوننا..أرجو من الله ان يعمي أبصارهم، يبدو انهم يقومون بوأدنا الثرى أحياء، الهى! لا تقبل هذا الظلم)!

مسحت وربيت على شعر اختك الناعم (ئه خته ر)، واحتضنت اختك (دولبر) وقبلتهما بلهفة وحنان، وامك قبلت ثلاثتكم واحدا واحدا، مرة اخرى ذرفت دموعك مدرارا لتحرق خديك.

اصطفوكم حول الحفر الواسعة، انت لا تعلم لماذا في تلك اللحظة تذكرت حجرة الملا حسن وهو يعلمكم سورة(الفيل).

(ألم تر كيف) وكيف يشرح لكم ملا حسن معناها:

ألم تر ان الله كيف ابطل مكائدهم؟ وأرسل عليهم طيرا ابابيل ورمتهم بأحجار جهنم وجعلهم كالتبن المأكول؟فتقول في نفسك: يا الهي العظيم! أغثنا كذلك وأرسل طير أبابيل على هؤلاء الملحدين الظالمين لنتحرر من براثينهم.

*بدأت الطلقات تنهمر عليكم، سمعت صوت شاب يزمجر ويصيح: (ايتها السماء ايتها النجوم!كونوا شهودا:ان ما يفعلون بنا الان انتقام منا على آبارالنفط، التي تحولت اليوم آبارا للدماء)

كنت في أعماقك تبكي بدون صوت ونحيب، وعلى الرمال تغلي دماء الناس القانية، إحساسك قال لك:القمر يرنو اليكم بلطف لتقبيل جروحكم، لاول مرة في حياتك ذاق جسدك طعم البارود ومعدن الرصاص، لقد اصبت بطلقة كيف لا وكان حصاد الارواح في أوجه.مرة اخرى لسع الرصاص صدرك وسقطت، سحبت جسدك النازف نحو منحدر في الحفرة وانزلقت على الرمل، ووقعت في بقعة من الحفرة وهي غير مرئية، الخوف والالم وتدفق الدماء حرّضك على السكوت الكامل ووقف التنفس.

أصوات المجارف وهديرالشفلات تؤكد على البدء بردم الحفرة، مئات الرجال والنساء والاطفال دفنت احياء وهم جرحى تحت الرمال والتراب، وأخفيت وضيّعت اية اثر للجريمة.وانت تدخل رويدا رويدا في احضان الاغماء.واخيرا وقعت في الغيبوبة الكاملة.

عندما لسعت أشعة الشمس جروحك شعرت وكأن عقربا يمر على صدرك، تحس ان جروحك وما حولها تتنمل ويعود اليك رويدا رويدا نتف من وعيك، لسانك صار جافا جدا وتعاني من آلام كثيرة، عاصفة رهيبة أحدثت ضوضاء في رأسك وكأن الموت يطل عليك، في تلك اللحظة الموحشة أجهشت ببكاء يتقاطر منه البؤس والحرمان، كيف لا ولم يكن حولك انسان حي ولا ملاذ، منحتك الدموع شيئا من الهدؤ والنسيان.

فتحت جفنيك فتزحلقت على التل الصغير، التل الذي تحوى في قعره أجسادا مدماة للانسان الكرد والله اعلم بعدده، نما الى اذنيك أو هكذا

شعرت، ان صوتا مخنوق النشيج ينبعث من الحفرة ويشبه صوت المرأة وهي تبكي على موت أحبائها، وقلت في نفسك:

(رباه! هل هذا صوت أمي وهي تلهث وتأتي لاستغاثتى؟)

ثم بدأت تقرب أذنيك من الحفرة وتتنصت عليها ولم تسمع شيئاً، وبعينيك المجهدتين أمعنت النظر حولك فلم تر شيئاً سوى الرمال الحارة، الآمال والاحلام التي كنت مولعا بتحقيقها في حالتك الاولى، قد تبدلت وصارت هباء منثورا.

وبجهد جهيد قمت من مكانك وقلت في نفسك (يجب أن أذهب واترك هذه المقبرة الموحشة ويجب ان لا تفلّ جروحي من عزيمتى).

أحسست بحزن كبير والألم أصبح كابوسا مريعا جاثما على صدرك، قد ماك تتنملان وينتابك احيانا هياج للقيء والتهوع وحلقك يتجفف اكثر فأكثر (يا لهذا الموت المجاني!) ركبتاك ترتجفان، الجروح الغائرة.... الجوع والعطش والخوف.. الضجر والقلق.. في روحك ونفسك أوار ولهيب. كل هذه حاصرتك، سقطت على الارض، لجأت مضطرا للزحف على بطنك فتهيج احد جروحك فتألمت كثيراً.وبجهد كثير وقفت على قدميك بتراخي وتمايل كالطفل الذي يحبو، تمشي على بطنك حينا وتعدو حينا اخر وبرهة تأخذ راحة. هكذا تمشي وتهيم في الصحراءالجرداء، في مدى نظرك لا ترى ماء ولا شجرا ولا حتى سرابا.

وقبيل غروب الشمس وبعدما قطعت مسافات لا تعرف كم ساعة هي، رأيت من بعيد خيمة فلاحت لك بارقة أمل في الافق، بدأت تخطو بسرعة نحوها حتى اقتربت منها وسط نباح كثيف للكلاب، أهل الخيمة

استقبلوك واحتضنوك، وما ان شربت طاسة ماء كاملة حتى دخلت في غيبوبة.

*****

فيما كنت مغمياً عليك، كنت تهذي وتخلط الكلام. وتقول :ان الموت نزل من ناقلات الجنود وأنه حاصرك، بدأت بالانين والصراخ، وعندما فتحت عينيك، رأيت كفا ملائكيا على جبينك، كانت امرأة في متوسط العمر مرتبة وانيقة، على ذقنها شامات وبأنفها خزام وهي تنظف جروحك بمنشفة، وأعطاك شاب طاسة صغيرة من الحليب، وطلبت المرأة منك شربه، فشربته وكان عندك لذيذا، أعدت جزءاً من عافيتك، وبدأ رجل وقور بتنظيف وتعقيم جروحك ولفها.

كنتم في ما بينكم خرسان لا يفهم أحدكم لغة الآخر، يخدمونك باخلاص مفرط، يبذلون جهدا دؤوبا ليبهجوك ويفرحوك.

مضت أيام وجاء الى الخيمة ضيف، وهو شاب وسيم طويل القامة..حنطاوي اللون، ببشاشة وابتسام اقترب منك، وبلغة كردية ضعيفة ومكسرة قال لك:

-شلونك كاكه..تصير زين.لا تحزن فهذا بيتك.

-من جنابك؟

-هذا بيت عمي، كنت لسنوات جنديا في منطقتكم فتعلمت شيئاً من اللغة الكردية قل لي من جرحك واي شيء أتى بك لهنا؟

(فتحت له قلبك وقصصت له بطولات الجنود ونخوتهم على النساء والاطفال، وكيف امطروهم بالرصاص وكيف وأدوهم في حفرة كبيرة و

واروهم بالتراب والرمال دون أى جرم اقترفوه) وببكاء عميق عدت الى حديثك:

انتظرنا كثيرا(طير ابابيل) لترميهم بحجارة من سجيل ولكنها لم تأت وا أسفاه وأخيراً ابتلع تنين رمال الصحراء جمع أحبتي.

ترجم الضيف ما قلته لاهل الخيمة فاغرو رقت عيونهم بالدموع، تصادقت مع الضيف وكان اسمه (حسين) وبعد اسبوعين قال لك الشاب:

اتفقنا مع عمي ان ننقلك الى بيتنا في (السماوه) خشية ان ينكشف امرك فحينئذ لن تبقى على قيد الحياة.

عشت في بيت (ابو حسين) ثلاث سنوات وكان قد أوصى زوجته وأبناءه وبناته به قائلاً لهم::كونوا ساهرين متيقظين عليه، انه السمك الوحيد الذي نجا من الشبكة و غيروا اسمك، لا تخالط الناس كثيراً خارج البيت ولا ترتاد الأماكن العامة ولا تذهب الى المدرسة كل ذلك خشية انكشافك، ويتعاملونك كاحد افراد العائلة.

الى ان جاء ذلك الربيع المتميز فكان اي ربيع! كان ربيع تلك السنة لديكم غارقا في الدماء، ولكن الانباء وصلتكم بان ربيع كردستان كان غارقا في الخضرة.

راودتك فكرة العودة الى كردستان، قبل ليالي رأيت أمك في المنام واضعا رأسك على صدرها، وانت تمل بعطر السنبل وعقد القرنفل والريحانة تحت ذقنها، وعندما تجهش في المنام بالبكاء تنهض بفزع.

(ابو حسين كان كأبيك في الحنان، وحاول كثيرا وأخيراً نجح في مسعاه وعن طريق أقاربه واصدقائه استطاع ان ينقلك الى مدينة(كفرى)

فأرسل احد(البيشمركه) ليرافقك، وها انت اليوم تسير وملؤك شوق ولهفة وتخطو بخطوات وئيدة، عيناك تلمعان وتتقاطر من سيمائك البهجة والانشراح، بسمة السعادة ترقص على شفتيك.

عندما وصلت الى اسفل الجبل الاشم، شاهدت مجموعة من البيشمركه كانوا ينزلون نحوك وانت تصعد نحوهم، بدأت تسرع في خطواتك حتى اقتربتم، كان قائدهم رجلاً حنطاوي اللون ذا شارب أسود وعلامات الحيوية والنشاط بادية عليه، في صدغيه شعيرات بيضاء وتقرأ في عينيه بريق المعارك الاسطورية في مناطق(كه رميان) ناداك بأعلى صوته:

تـ.يمور، وما هي الاصيحة واحدة حتى وصلت صداها وتعانقت مع جميع سهول (كرميان) بكل شوق وحنان والغابات الكثيفة في (قوبى قرداغ) وكهوف (بيلووله)و(سه رته ك) وجبل (به مو) وكلها تردد.. تيمور.. تيمور.... تيمور.....!!

أقاصيص يومية

رؤوف بيكةرد

(الكاتب في سطور) :-

- من مواليد 1942 / كركوك ، ثم استقرت عائلته في السليمانية.
- خريج الدورة التربوية ، فاصبح معلماً في عام 1960.
- بدأ بكتابة القصة في عام 1970.
- له (7) مجموعات قصصية ، احداها طبعت في السويد ، ونشر احدى مجموعته بعنوان (نحو الجبل) تحت اسم مستعار (ريبوار عبدالله احمد).
- في عام 1984 ترجم من الفارسية مجموعة قصص لـ(انطوان چيخوف) الى الكردية.
- في عام 1986 ترجم كتاب (ظهور الرواية الانكليزية) من العربية.
- في عام 1987 ترجم (ثلاث مسرحيات) من العربية.
- في عام 1991 كان رئيساً لاتحاد الادباء الكرد / فرع السليمانية.
- في عام 1997 كان رئيساً لمركز (كلاويژ) الادبي.
- في عام 1998 ترجم مجموعة قصص (قطرات دم على الثلوج) وهي قصص اجنبية من اللغات العربية والفارسية الى اللغة الكردية.
- اسس مع عدد من رفاقه (مؤسسة – سەردم – العصر) للطبع والنشر، واصبح رئيس مجلة (سەردم) الخاصة بالترجمة.
- في عام 1999 ترجم مسرحية (ئيكانوف) لچيخوف من الفارسية الى الكردية.
- في عام 2001 ترجم رواية (زوربا) لـ(كازانتزاكيس) من الفارسية.
- في عام 2002 ترجم كتاب الجيب (ديكارت) من الفارسية.
- في عام 2002 ترجم رواية (حفلة الوداع) لـ(ميلان كونديرا) من الفارسية.
- في عام 2003 ترجم كتاب الجيب (كيف تكتب الرواية) لـ(گابريل گارسى ماركيز) من الفارسية.
- في عام 2004 ترجم كتاب (اخر حوارات بورخيس) من الفارسية.
- في عام 2005 ترجم ثلاث مسرحيات من العربية.

في عام 2000 ترجم كتاب (دقة قلبي) وهو رسائل الشاعرة الايرانية (فروخ فروخزاد) بالتعاون مع (شەيدا سەلاح) من اللغة الفارسية.

هذه (أقاصيص يومية) مستلة بإنتقاء من كتاب يتضمن المجموعة الكاملة من قصص القاص الكوردي المعروف (رؤوف بيگەرد), علما ان كثيرا من قصص ذلك الكتاب ترجمت الى اللغة العربية ونشرت أما ضمن كتاب أو في المجلات والصحف.

-1-

الأم

يوميا تسير امام دارنا وهي متشحة بالسواد, وترتقى صعدة المقبرة وتجلس على نفس القبر الذي لم يزل ترابه يميل الى الحمرة, بهدوء وحبور تبدأ بالبكاء والنحيب, فتصبح الذكريات دموعا وانغاما, ولا نعلم سوى ان القبر لشاب كان في ربيع (18) عاما وكان الابن الوحيد لتلك المرأة.

الخالة (منيج) هي الاخرى كانت جارتنا, وهي تجلس بجانب جدار بيتها وهو قريب من ذلك القبر, وتبدأ هي الاخرى ببكاء ونواح أشد غليانا, تتشابك أصوات أنينهما وتأوهاتهما وتملأ المنطقة بالهياج والاشجان, الا ان صوت وأنين الاخيرة كان أكثر نفوذا وتأثيرا, لانها تنحب وتولول لابنها الوحيد الذي كان بدون لحد وكفن.

1980

- 2 -

الحياة

طأطأ رأسه قليلا وأمعن النظر في أطلال وبقايا داره وتذكر زقاقه, الا انه لم يستطع تحديد وتشخيص جميع الدور كما كانت, عندما

وصل ارض داره, اعترته زوبعة فرجّت جميع أعضاء جسده, فتفقد بقاياه شبرا شبرا, ورفع رأسه نحو الأعالي, فرأى ان السماء نفس السماء والنجوم نفس النجوم التي كان يعددها داخل حصيرة القصب واحدا واحدا وهو صغير, ثم يستسلم لسلطان النوم, في تلك الايام كان طفلا حروكا لايحزن لأي شيء, ولكنه الآن اصبح رجلا ابيض الرأس واللحية وله كرش متدلي, وكذلك اصبح ذهنه الساذج البسيط ممتلئا ومعقدا, فقال لنفسه: ((أنا وداري متشابهان وكلانا في نشوء وسقوط, يُبنى على داري دار أحدث وانا أنجب أحفادا انفع مني وأصلح, هي النجوم أبدا تبقى راسخة في اماكنها وتجذب أصابع الصغار اليها)).

- 3 -

الشمس في كسوفها

في الليالي وأثناء ترويض الوقت وايقاظ الذكريات العزلاء الخجولة, كان مؤشر الاحزان يرسو على وجه (هيوا) وتتجلى في سيمائه, فيرسم المؤشر على وجهه صورا لدنيا عجيبة غارقة في الابهام والمجهول.

(هيوا) ليس شيخا معمرا, وهو الآن يناهز الثلاثين عاما, الا ان البياض غزا شعر رأسه ولحيته, كما وان التجاعيد القت حملها على جبينه وخديه, ومرات ينثر (هيوا) على من حوله لفحة ذكريات لأيام بهيجة وحلوة جدا, فسيماؤه .. لونه .. عيناه وأصابعه في هذه الحالة تصبح هائمة دايخة, وعندما يلج في هذه الحالة لا نكترث به,

فيصبح كشاعر .. فيلسوف أو صوفي ملتزم ومنشغل بنفسه وعالمه وهو عاشق ولهان ثمل لا ينتبه لشيء.

كل ما نعرفه عن (هيوا), هو انه كرس كامل شبابه لغاية, ووقع على هذا الطريق في عشرات الانتكاسات والمصائب الجلل, ولكنه لم ينهزم أمام تلك الأرزاء, ونزفت منه دماء .. جاع وعطش كثيرا, رفس في ذلك الطريق الاحجار الصماء بحيث لم يصبح حذاؤه فقط بل رؤوس اصابعه ملساء ناعمة كأنها صقلت ونعمت بورق الصنفرة (سمارته) وسقطت بعض من أظافره ايضا.

يعيش (هيوا) الآن في بيت أحد أقاربه, فلا أب له ولا أم, أخوه الوحيد اعتقل لاجله منذ عشر سنوات وهو بدون لحد وكفن, أنا أزور ذلك البيت كثيرا ومولع بهدوء (هيوا) وذكرياته الحية, أريد ان أجعل منه بطلا لاحدى قصصي, الا انه يتهرب في كل مرة ويصبح أكبر وأكبر من أبطال قصتي, الا اني لم أتركه لحاله فأتبعه, أرتاد المقهى التي يقف أمامها (هيوا) ورفاقه, انهم يقفون أو يتكئون على السياج الفاصل بين الشارع والرصيف, وهم يتحدثون في الاسرار يشكون ويعاتبون, رفاق (هيوا) ليسوا مبيضي الرؤوس واللحى, ولكن يوجد بينهم مبتوري اليد أو يمشون برجل صناعي, بينهم مَن وجوههم وأياديهم مسودة كأن حرائق البارود شوهتها وغيرت لونها الطبيعي, بينهم لاترى فيهم تلك التشوهات, الا ان وجوههم تشبه وجه (هيوا).

عندما تستمع اليهم تجدهم منهمكين في سرد حكايات وذكريات عن سنوات الجبل, يروون شذرات من شمائل رفاقهم الشهداء, أو

يتحدثون عن كيفية حياتهم وسط أكوام الثلوج المجمدة, أو حياتهم في الكهوف وشقوق الجبال والوهاد, وأحيانا تخض حادثة سارة غديرهم وترسم بسمات عريضة على شفاههم.

عندما ينتهون من نبش الماضي ويصلون الى الحاضر, تنفجر حالة متشنجة وكأن وقود البنزين سكب على النار.. أو السماء تمطر أحجارا.. أو ان الارض والسماء تصادمتا, انهم يفتحون بوابة لواعج آلامهم ومعاناتهم.. ويعرضون صفحات قاتمة من قشور جروحهم القديمة, انهم مشتاقون الف مرة للايام التي لا يرون فيها غير الاحجار الضخمة الصماء, وهناك في الجبال بدلا من ان يروا مضطرين وجوه المنفورين وسماع لغط المكروهين والانغال, يستمعون الى حفيف النسيم وطنين الرياح.

وبعدها كعادتهم يرفعون أعناقهم ورؤوسهم نحو القمم الشاهقة والنجوم البعيدة الباهتة, هؤلاء الشباب مشحونة رؤوسهم بالخيال وقلوبهم مملوءة بالحب والضجر والاستياء, ولكن جيوبهم خالية خاوية, ولا توجد يد تحن عليهم وتخفف نتفا من أتعابهم وإجهادهم.

-20

1992/11/21

- 4 -

الكرسي

عندما كان في الجبل يفوح منه أريج المطر الاول في الخريف, وكانت وجهته نحو الشمس كزهرة عباد الشمس, فيضانات الكوارث لم تستطع إمحاء سطر واحد من دفتر عزيمته, ونار أتعابه لم تستطع

الوصول الى أحلامه لتحرقها, في الماضي كان ذا يد خضراء وجبين ناصع البياض وروحا مثل الثلج. عندما عاد الى المدينة ولمدة لم تستطع الايام تبديد هيبة تلك الروح العالية وتمحيها, وانت ربما لا ترغب مسح صورة ذكرياته المقدسة من صفحة ذكرياتك معه والتي تعود الى سنوات عديدة.

الا انه رويدا رويدا وكأفلام غير محمضة عرض نفسه على ضوء الشمس, فأحرقت صوره القديمة واحدة بعد اخرى, أخيرا وكرماد السجائر القيت في نفاضة الذكريات, وبعدها لم يبق فيه بعد لا شذى التراب ولا هيبة البحر ولا وجهة عباد الشمس.

في المرة الاخيرة رأيته جالسا وراء منضدته, نظرت إليه بإمعان شديد, كنت تريد إجبار عينيك واذنيك وبمشاعر إغترابك ان تلف وتلم شريط حياة رفيقك في الجبل وتسلمه الى ذكرياته المشرقة القديمة, ولكنك لم تستطع كبح جماح رغبات وميوله البشعة الشنيعة الحالية. وعندما تمعَّن فيك بحيرة, قرأ نظراتك المرة الفاترة, وبدا كأنه شعر بإغتراب وخجل, فقلت له:

- تبدو مهموما ولك أشجان كثيرة؟
- همومي وأحزاني المقدسة قد فرت عني وهي في مهب الريح.
- ألحق بها.
- هل الأعاصير والرياح القوية تُأخذ وتلحق بها؟
- الى هذا الحد.
- بل أكثر.
- كيف تقيم حاضرك؟

نزل من كرسيه ونظر الى حواليه, ثم قال:

- أشعر ان قامة الكرسي الذي أقعد عليه, أكثر مني طولا وعلوا.

1994/9/20

- 5 -

رؤيا

كان هذا حديثا ذا شجون: ﴿ قطار من العاصمة في الطريق الينا, يريدون نقل (تل مقبرة الشهداء) بذلك القطار الى الصحراء ﴾, بينما كنت في المنام, بدأت بالبحث والتقصي: كيف يحدث هذا وكيف ينجزون هذا العمل, أين ومتى حدث هذا النوع من الاعمال؟!

رواة هذا الخبر كانوا مندهشين مصدومين, وجوههم من صعقة الخبر تبدو شاحبة حزينة, يسيرون بسرعة او واقفون مذهولون متحيرون, فقالوا: ألم يقوموا باعمال اكثر من هذا خساسة ورعونة؟! انا كواهن عاجز يستسلم مضطرا للسذاجة والغفلانية وهو مطمأن وواثق, او كنت كشخص يصر على ان لا يثق بنفسه; أسير وأتساءل, فبغتة توقفت فتيقظت من نومي وانا متعرق بغزارة, عندما استرقت السمع من الشخصين الجالسين في احدى زوايا غرفتي وهما يتباحثان ويتبادلان أحدث أنباء الوطن بحماس وحمية, ورد في حديثهما اسم العاصمة التي رأيتها في المنام.

2000/11/3

- 6 -

طـفل

أمها قالت لها مرة: عندما يتحرك الجنين في بطن الأم وشخص ما كان حاضرا في تلك اللحظة فالمولود سيتلبس صورة ذلك الشخص وسحناته. تقف كل يوم قبالة الصورة الجميلة للمسيح, وتنظر الى انفه وعينيه نظرة العطشان الى السراب والصوفي الى شيخه والثمل الى كأسه, تبتسم أمامها وتتضرع عسى ان يكون طفلها المنتظر يشبه تلك الصورة. الا انها عندما تتوجه الى مقر عملها تعتريها موجة من الشجون, وكلما تقترب من الشهر التاسع أكثر – تصبح أحزانها أكثر رعبا وفزعا, كانت كل يوم وهي في طريقها الى العمل تفكر في مديرها حيث لها هاجس وخيفة ان تلقي نظرة عليه وأثناءها يتحرك الجنين في بطنها.

2000/11/22

- 7 -

الخـارطة

((الاشياء التي لا يمكن ان يتحقق

في الواقع نحلم بها)) فرويد

ثلاث صور وخريطة لبلادي زينت غرفتي, في كل ليلة وقبل ان ابتعد عن آخر لحظات يقظتي أشتاق الى رؤية أصحاب صور الخالدين (پيرەميرد) و (سواره ئيلخانى زاده) و (جليل قيسي) في منامي, لكنه والى الآن: لا في نوم ليلة ولا في لحظة نعاس لم يزر أحد من هؤلاء بيت مناماتي, بينما خارطة بلادي تزورني في كل ليلة

وتصبح مظلة وظلا.. تصبح راية ترفرف على رأسي. عند اليقظة في الصباح والاستماع الى محطات الراديو في بلادي, أصر على حقيقة ان (فرويد) فيلسوف عظيم لكل العصور.

2001/11/25

\

الصحـــراء

الدكتور فرهاد بيربال

- **مؤلفات الكاتب:**

1- **مسرحيات** (4) **مسرحية**

2- **مجاميع شعرية** (6) **مجاميع**

3- **مجموعة قصصية** (2) **مجموعة**

4- **الروايات** (5) **رواية**

5- **الصحافة الكوردية باللغة الفرنسية** / 1998

6- **مصادر في التأريخ الكوردي** / 1998

7- **ذهب في الزبالة / دراسة في نصوص كوردية** / 1999

8- **الانجيل في تأريخ الادبيات الكوردية** / 1999

9- **صورة الكورد في أرشيف المستشرقين** / 1999

10- **دراسات في تأريخ الكورد / ترجمة ترزة جاف** / 1999

11- **ملا محمود بايزيدي / دراسة تأريخية** / 2000

12- **تأريخ المسرح في الادبيات الكوردية** / 2001

13- **الجنرال شريف باشا / دراسة تأريخية** / 2001

14- **عبدالرحيم رحمي هكاري / دراسة أدبية** / 2002 **دهوك**

15- **تأريخ الترجمة في الادبيات الكوردية من القديم الى عام** 1932 / 2002

16- مختارات من الشعر الفرنسي المترجم / (3) مجموعة

17- المدارس الادبية / ط 1 – 2004 / ط 2 – 2005

18- عدة رسائل فرنسية / 2005

19- صورة الكورد في أرشيف المستشرقين الاوربيين / 2005

20- تأريخ الشعر الحديث الكوردي 1898 – 1958/ اربيل / 2006

21- لغة العصى / حول قضايا الطلبة والشباب / 2006

22- الكورد من رؤية المستشرقين / نصوص وبحوث / 2006

23- تأريخ الفن التشكيلي في كوردستان من القديم الى عام 1958

24- السلاطين العثمانيون دراسة والبوم صور / 2007 السليمانية

25- (كرونولوجيا) كوردستان / 2007

26- دائرة معارف أربيل / التأريخي .. السياسي .. التراثي / أربيل / 2006

﴿ الصحـــراء ﴾

أخت (حاشوش) الصغيرة دخلت الغرفة وأنبأتنا بغتة وهي مرتبكة وتلهث:

- أمي.. أمي! غدا ولمرة أخرى يرحلون العوائل الكوردية, في تلك اللحظة كنا أنا و(حاشوش) جالسين متقابلين نلعب لعبة (الداما), عندما سمع حاشوش النبأ انقطع عن اللعب, وفجأة خيم الحزن على وجه أم حاشوش وهي جالسة بجوار (سماور) الشاي، ونظرت الي بحنان وعينين دامعتين.

كنت في تلك الايام صغيرا لا أعرف اللغة العربية جيدا، في البداية لم أفهم اللهجة العربية التي تكلمت بها أخت حاشوش خاصة وانها نقلت الخبر بتشوش واضطراب، أب حاشوش سأل ابنته وهو بالخبر مرتبك:

- من قال لك الخبر؟

نظرت البنت الصغيرة اليّ وهي حائرة مرتبكة وقالت لأبيها:

- سمعت الخبر من بيت سعدية الجارة.
- ماذا قالوا؟
- قال: غدا ومرة أخرى ترحل العوائل الكوردية.

قالت أم حاشوش خافتة وكأنها تبوح بسر وبأسى يتقاطر منها عتاب وملامة:

- هي صادقة، فأبو سعدية شرطي عارف بذلك الخبر.

قال أبو حاشوش لنفسه: من الشمال رحلوا الى الجنوب ومن الجنوب الى اين.. انها لمن الغرابة.

فهمت على الفور اننا ولمرة اخرى نرحل اما الى ايران او الى الصحارى الواقعة على حدود الاردن، كدت ان اجهش بالبكاء، فأبي

وقبل سنوات تنبأ بهذا الترحيل، لم أتمالك نفسي فغمرني الحزن وطأطأت رأسي على صدري, من شدة كبوتي وهمومي وكطفل صغير أجهشت ببكاء صارخ. كنت في جذع وحيرة من أمرنا: لماذا رحلنا الى هذه الصحراء الحارة في جنوب العراق والى متى نرحل ونرحل؟ في صباح اليوم التالي كنت في غرفة مظلمة شبيهة بسجن, وكلما أتذكر الليلة الماضية وكيفية سماعي لذلك النبأ، تغمرني الأسى والشجون أكثر وأكثر، كنت جالسا على صفيحة صدأة مقعرة وأبكي بغصة وهدوء وبدون صوت ونحيب وأقول لنفسي:

– هذا من غلطتي، فلماذا بت تلك الليلة في بيت حاشوش؟

لمدة أحد عشر شهرا كاملة نعيش انا وأمي وأبي وأختي الصغيرة في صحارى جنوب العراق، كنا (40 – 50) عائلة في صحارى الرمادي.. صحارى كانت بمدى النظر قاحلة.

كنت وللسنوات التسع الماضية من عمري عائشا بين جبال وبساتين زاهية, العيش في هذه الصحراء صعب وثقيل على روحي وقلبي، في كل صبيحة عندما أقوم من النوم وبدلا من هبوب نسمة باردة وقطرات الندى على أغصان وأوراق البساتين، تنهمر على وجهي الأتربة ولفحات الهواء الساخنة، وبدلا من رؤية السناجب والوزة وصغار الماعز والمناطق المعتدلة قبالة بيتنا، عليّ رؤية موجات الأتربة والغبار وهي تشكل قشرة على رجلي، ويعاني أبي وأمي وأختي ايضا من كل تلك العذابات والمنغصات الحياتية. في طول المدة البالغة (11) شهرا لاسكاننا وعيشنا في هذه الصحراء القفرة المغبرة لا يزورنا الا عائلة حاشوش وعائلة عربية أخرى، وبين فينة واخرى كانتا تساعداننا.

كان أبي ولكي يستطيع أن يهيء معيشتنا يذهب كل 3 – 4 أيام مع أب (حاشوش) الى القرى القريبة منا لشراء كيسين من الفجل ويقومان معا

ببيعه في القرية، اما أنا وحاشوش ولغرض صيد اسماك الجرى فنذهب الى البرك والمستنقعات القذرة الغنية بالحشرات والذباب والبعيدة عن القرية، نعود من الصيد ونبيع الاسماك في القرية.

في عصرية الايام نذهب مع أبناء العرب الآخرين في القرية الى بقعة منبسطة جافة، و توجد قربها مساحات صغيرة لاشجار النخيل وتربط تحتها ليلا الجمال والبعران، كنا على تلك البقعة المنبسطة نلعب كرة القدم، كنت مبهورا ومغرما بهذه اللعبة، واحتفظ في جيبي دائما بخارطة اللعب، وعلى الجدول حددت مكان ودور كل لاعب بالرمز وخطوط متنوعة دالة مثل: هجوم.. دفاع..هدف، وعندما نتعب في اللعب ويخيم الليل بدياجيرها المظلمة على تلك الصحراء، أعود مع حاشوش الى البيت، وفي أغلب الليالي أبيت في دار حاشوش ولا أعود الى بيتي.

تودأمي أن ألعب مع أبناء العرب وتقول:

- لعل ان تتعلم مع أبناء العرب اللغة العربية.

الا ان أبي مرة قال لي غاضبا:

- لماذا لا تعود الى خربتك للنوم عندما تنتهي من اللعب؟
- أبي! عندما يخيم الليل والظلام ، أخاف العودة الى البيت ومن خلال تلك الصحراء.
- إذاً أتركْ لعبة كرة القدم!

(كان أبي مصيبا فيما قاله، إذ لو عدت في ذلك الليل الى بيتي بعد لعبة كرة القدم وما نمت في بيت حاشوش لما انقطعتُ عن عائلتي ولما وقعت في هذه التهلكة والمصيبة التي أعاني منها اليوم، كانت غلطتي أنا... آه).

كنت في غرفة مظلمة رطبة وكدت ان يتوقف قلبي اسى وكمدا، من شق الباب انظر الى الخارج، افكر في أمي واختي الصغيرة، شارد في حزن

وخوف مريع كيف لا وان هناك خبر ترحيل جديد لعائلتنا الى ايران او حدود الاردن، في الوقت الذي انا موقوف في هذه الغرفة المظلمة، ماذا سيكون مصيري لو تحشر عائلتي الآن في ناقلة عسكرية وترحل الى ايران أو حدود أردن؟ وحينئذ سأصبح ضائعا هائما في الدنيا، ولا أرى أبي وأمي وأختي الصغيرة الى أبد الآبدين.

الغرفة التي كنت موقوفا فيها كانت سيطرة للشرطة تحافظ على تلك المنطقة الصحراوية وتبعد نصف ساعة مشيا عن بيتنا، كانت غرفة واسعة سداسية الابعاد، مظلمة... حارة ومرطوبة، تفوح منها روائح البول والبازنجان.. جدرانها من البلوك والاحجار والصفائح والبراميل، الشمس في صبيحة ذلك اليوم ساطعة في اشراقتها الاولى. استيقظت من النوم وتركت بيت حاشوش مبكرا قاصدا بيتي عن طريق أقصر يمر أمام تلك السيطرة اللعينة، ما ان اقتربت من السيطرة ورآني الشرطي العربي حتى وجه فوهة بندقيته نحوي وكأنه لم ير بشرا في تلك الصحراء وصرخ بأعلى صوته قائلا: أوگف!

(ماذا فعلت؟).. فوا عجبا!, (فها هي ساعتان بل أكثر.. لماذا أوقفوني في هذه الغرفة.. وما هي جريمتي؟!, لم استطع على الصبر، فتحت الباب وما ان وصلت عتبة الباب حتى نزع الشرطي بندقيته عن كتفه وتوجه نحوي متباهيا، وبلهجة عربية ركيكة صاح:

أقول عد الى غرفتك ايها اليتيم!

لم يرهبني صراخه ولكن الفزع من مصير عائلتي أصبح عاصفة من الألم والغصة، وسيطر على روحي وأجبرني على الحديث:

- أمي.. أبي.. عائلتي!
- ماذا بعائلتك؟
- انهم ذاهبون.. يتركوني وحيدا.

بعدم إكتراث وبلهجة ساخرة وكأنه يقلدني:

- الى أين يذهبون؟
- إنهم يرحلوننا.
- (وعلى نبرتي ساخرا): من يرحلكم؟
- (أجهشت بالبكاء): الحكومة.. الحكومة ترحلنا.
- الى أين؟
- الى ايران.
- تكذب لانك هكذا تقول في السابق.
- قسما بالله لا أكذب، يرحلوننا ولا أعرف الى أين؟

(بعدم مبالاة) قال:

- عد الى غرفتك وانتظر.

أعرف ان الشرطي يقصد ان انتظر (الرئيس) النائم في الغرفة، فعليّ ان انتظر قيامه من النوم وهو الذي سيتولى مساءلتي، وعلى عتبة الباب عاودت مواجهة الشرطي الحارس، ونظرت في وجهه نظرة التماس الشفقة ورقة القلب، واشرت الى النائم وقلت:

- انه النائم.
- من هو النائم؟
- الرئيس
- قال انتظر الى ان يتيقظ.
- قلت هل أوقظه؟
- (بإنزعاج) قال: لا..لا.. الى ان يتيقظ هو.

بتضرع وإلتماس قلت:

- انه لا يتيقظ.

صاح وصرخ بغضب:

- أقول اذهب الى غرفتك يا إبن الحمار.

رأيت في ذلك الوقت شرطيا آخر ما رأيته من قبل (يبدو انه نقل الى تلك السيطرة حديثا) رأيته وهو جالس بقرفصاء والبندقية بين ركبتيه وظهره متكيء بالجدار، قام وتوجه صوب الغرفة وقال لي:

- ألستم منفيين الى هنا؟

فانشرح قلبي من حديثه فقلت:

- نعم.
- فكيف تقول: انهم يرحلوننا؟
- يرحلوننا مرة اخرى.
- انتم من أية منطقة؟
- (میّرگەسور)
- والى أي مكان سترحلون؟
- قلت باكيا:
- لا أعلم.

وفجأة انفجر غاضبا وقال:

- اذا من أين عدت في هذا الصباح الباكر، وماذا يعمل الانسان في هذه الصحراء الموحشة؟

لم يسمح لي بالإجابة، وبسرعة أخرج من جيبه ورقة سمراء ملفوفة.. انها ورقتي، تلك التي كتبت عليها خطة كرة القدم واخذها مني الشرطي الاول واعطاها لهذا الشرطي الثاني، أظهر لي وأراني تلك الورقة وبصوت منكر صرخ بوجهي وقال:

- ما هي هذه الورقة؟

أدار بندقيته نحو ظهره وأخذ ذراعي بقوة وقال:

- أنت جاسوس!

سحبني صوب نفسه.. وأنحني عليّ وأظهرني الورقة، وضع أصابعه الطويلة المشققة المخدوشة على بعض من كلمات الخطة، بذهول وحيرة مفرطة قال:

- أنظر الى ورقتك: هجوم.. دفاع.. هدف، ماذا تعني بهذه الكلمات؟.. تكلم.

كنت سارحا في التفكير وبإندهاش أتساءل نفسي:

هذان الشرطيان عربيان، فلماذا لا يفهمان هذه الكلمات وهي مصطلحات لكرة القدم؟

شد أذني ولوى رأسي، نفش شاربه وتحدق في عيني، وقال:

- ما هي هذه الخطة.. تكلم؟

أجهشت بالبكاء وقال:

- هذه خطة تخريباتك.

أنا ومن شدة ألمي أجبته بوضوح وتفصيل:

- هذه خطة لعبة كرة القدم، وعليها اسماء اللاعبين معي.

لوى لحمة أذني أكثر وهزهز برأسي مرتين وقال:

- هذه الكلمات اللعينة: هجوم.. هدف.. دفاع تكررها دائما ما هي معنى هذه الكلمات البذيئة: الهجوم على أين؟ أي من الاهداف؟ وما هي مدلوللات هذه الاشارات الغريبة؟ تكلم.. أنت جاسوس! من هم هؤلاء الاسماء المكتوبة على هذه الورقة؟

كنت حائرا مذهولا.. ماذا أقول؟ من شدة آلامي وسوء حظي أبكي بدون نحيب وأتضرع منه، وأخيرا ترك لحمة أذني وأعاد كتفي الى حالته الطبيعية وقال:

- أدخل الغرفة الى ان يستيقظ (الرئيس)!

بتضرع وخيفة قلت له:

- أهلي يذهبون.. وابقى بدون أهل وظهير.

في الغرفة مضطرا وباكيا جلست مرة اخرى على الصفيحة الصدأة المقعرة، وليس لي حل آخر سوى الانتظار لهذا الرجل النائم والذي يسمونه (الرئيس) ليقوم من نومه فيحقق معي.

هذا الانتظار العبثي الممل الطويل في هذا السجن المظلم النتن برائحة البول جعلني رويدا رويدا أن أعتقد ان الرئيس هو الامل الوحيد لأتحرر, وعندما أفكر في (الرئيس) أشعر بنوع من الاريحية والتفاؤل وأقول لنفسي:

- يحتمل ان يكون الرئيس أكبر منهم سنا وتجربة ونضجا عقليا، انه حتما ذو إلمام بلعبة كرة القدم، وان تلك الورقة ليست خطة جاسوسية للتخريب بل هي تخطيط لكرة القدم، أتضرع من الله ان يطلق سراحي فأعود الى بيتي.. الى أبي وأمي وأختي الصغيرة.

لا استطيع القرار في الغرفة، أفكر وأرنو حوالي، فالغرفة مظلمة لا أرى شيئا فيها سوى ثلاث أسرة قديمة احداها للرئيس النائم، وعلى السريرين الآخرين ملابس وأحزمة جلدية وأحذية عسكرية، وفيها ايضا منضدتان مكسورتان تترنحان، على إحداها مروحة كهربائية معطوبة, وعلى الاخرى سلة اعتقد فيها التمر وتحوم حولها الفئران والصراصير.

أقول لنفسي: يا للعجب! من الصباح الباكر أوقفوني هنا، كل هذه اللغط والاحاديث.. كل بكاء أتى ونواحي لم توقظ هذا الرئيس، كنت جالسا على صفيحة صدأة وأمعن النظر في الرئيس الغارق في النوم، وهو مغطى ببطانية ووجهه مكشوف, وهو صامت لا حراك ولا خرخرة، ولا تبدو على سيمائه ملامح التعب والرؤيا والاحلام بل حتى ولا ملامح الحياة.

حاصرتني الظنون والوساوس، قلت لنفسي:

- أخاف ان يكون هذا الرجل النائم اكثر عنادا ورعونة من الرجلين الآخرين لانه رئيسهما, ويحتمل ان يكون رئيسا لهذه الصحراء كلها, وبوسع الرئيس ان يفعل ما يشاء, كنت خائفا لان الرئيس وبهذه المواصفات فاني لن ارى بعدُ أبي وأمي مرة اخرى, ليس هذا فقط، بل في النهاية وبسبب تلك الورقة المشؤومة سيطلقون النار عليّ وسيقتلوني.

تلك الهواجس والاحتمالات شاغلت نفسي ربع ساعة اخرى, وفيما كنت شاردا في حالتي البائسة سمعت ثلاث مرات هدير سيارات خارج الغرفة، تلك الاصوات التي تشبه اصوات الناقلات العسكرية، اسمعها من بعيد وهي تعبر بهدوء, ونباح الكلاب تختلط بأصوات السيارات ، كلما تعبر ناقلة مع هديرها أقول: (هذه عائلتي:: أبي وأمي وأختي الصغيرة), (انهم يرحلون) ولا أعرف الى اين.. الى أي اقليم واي مخيم وأي معسكر؟!

لا استطيع المكوث في مكان لحظة ولا أتمالك نفسي، وفجأة قمت وفتحت باب الغرفة وخرجت ورأيت المكان خاليا, جلت النظر حولي فما رأيت في المنطقة أحدا، أمعنت النظر بعيدا فرأيت سربا من الجمال وهي مشدودة تحت أشجار النخيل. في تلك اللحظة وفي ذلك المكان الخالي الموحش في الصحراء شعرت بخوف ورهبة واغتراب قاتل, فكرت في الهروب والانعتاق, الا ان الهروب عمل غير مستحسن وغير نبيل, وددت ان يكون الجميع (بما فيهم الرئيس) واثقين مطمأنين باني لم أرتكب أية جريمة أو جنح ومن حقي أن أتحرر ويطلق سراحي.
بحركة لا إرادية (وكأن وشيجة قديمة متينة تجذبني الى ذلك الرجل الرئيس) عدت الى الغرفة السجن، اقتربت من سريره، كنت أنظر الى وجهه

وسيمائه, مددت يده وهو صامت, أخذت ذراعه ورججته وهو صامت, ناديته:

- جناب الرئيس!

لا حراك ولا جواب, رفعت ذراعه فسقط على جسده بدون حركة وروح, فتحقق لدي ان الرئيس في عداد الموتى. في هذه الغرفة المظلمة الصامتة وانا بجانب جثة هامدة, كدت أن موت فزعا ورعبا وأصرخ بأعلى صوتي, ولكن هربت بسرعة الى الخارج, بغتة وقرب باب الغرفة حوصرت من قبل أربعة من رجال الشرطة, انهم بدناء عريضو الكتفين, انهم منفوخون متباهون ومهددون.

ارتبكت وكدت ان اضيع الصواب, شعرت انهم مستعدون لإطلاق الرصاص عليّ، إذ صوبوا فوفهات بنادقهم الى صدري، يا لفزعي ورهبتي وانا ارنو اليهم بحيرة واندهاش!. من بينهم تقدم اليّ افندي وعلى ذقنه شامة وعلى كتفه خيط ازرق وهو متجهم عبوس.

قال احد الشرطيين السابقين لرجال الشرطة الوافدين الجدد:

- خذوه!

أحد أذني الافندي ذي الخيط الازرق كان مقطوعا, وبقايا جرح غائر شاخصة على جبينه الايسر (يشبه رجلا لوطيا خسيسا رأيته ليلة ما في حلم رهيب), بعبس وخنزرة تفرسّ في وجهي, بخبث وعدانية تقدم نحوي رويدا رويدا, وسأل الافندي الشرطي:

- هل هذا هو؟!

- نعم هو.

في تلك اللحظة سمعت هدير ناقلة (زيل) عسكرية وهي تترك القرية وانا واقف خائفا مذهولا.. لا رحمة ولا شفقة, وليس بوسعي حتى الاستنجاد والصراخ.

غضب

محمد رشيد فتاح

الكاتب في سطور:

- **من مواليد 1941 في السليمانية**
- **خريج دار المعلمين / والآن متقاعد يعيش في السليمانية**
- **أول قصة له نشرت في جريدة (ذين) عام 1962**
- **له (5) مجاميع قصصية**
- **له (3) روايات, احداها بعنوان (انفال)**
- **له دراسة بعنوان: دراسة في أدب اطفال الكرد**
- **له مسرحية بعنوان (الذين يعرفون انفسهم)**
- **الى الآن مستمر على كتابة القصص والرواية والمقالات الادبية في المجلات والصحف**

- 1 -

في ربيع تلك السنة عاد (غضب) وتفقد المدينة المقهورة الرازحة تحت صفعة (ابليس العصر), مع مجيئه دقت أجراس النهوض والتحرر واحتضنت أرواح الجماهير المشتعلة والمغلوبة على امرها الانغامُ الشجية للانبعاث والصمود, لسنين طويلة توارى (غضب) عن الانظار مجهول المصير, ولذا قال بعض الناس:

- مات (غضب) ولن يراه أحد بعد, الا ان (غضب) ذا سبع أرواح لم يصمد أمام لواعج الغربة فعاد وبعودته هز وفزع حتى الاطفال الرضع.

عندما جاء (غضب) كان ظهيره ونصيره حصانا مدربا وجبالا شاهقة لاتعد ولا تحصى وبنادق ذات الوهج, مع مقدمه وترجله على ارض الوطن, ارتدى الالوف من العبيد ملابسه وتناولوا قدره وقوته الخارقة اللامحدودة, بعد مقدمه لم يعد الناس مقهورين مخصووين كما كانوا في الامس وقبل الامس, وكذلك لم تعد المدينة الهائجة اليوم متشحة بالسواد كما كانت في الايام السوداء, الناس في هياج وحراك كأنهم فيضانات غاضبة لربيع تلك السنة, انهم ينحدرون من الجبال ومن دياجير الاحياء والازقة ينسلون في صفوف متراصة, ومن الاراضي السهلة يحتشدون ويندفعون, انهم يجعلون من القلوب المحرومة طاقة وقوة لمسيرتهم, ومن أكواخهم

المتداعية البائسة يندفعون ويهاجمون, وبلهفة وشوق يتلاقون مع (غضب) من جديد.

رأيته! ومن لم يراه؟

لقد كانت الاحداث معاناة ومكابدة سوداء.. كانت مستنقعا عكرا ونتنا, نزفت دماء بنفور وضجر واصبحت جداول, ولكن قلعة كبيرة للظلم والقهر انهارت, ما أنجزه (غضب) لا مثيل له في الاساطير القديمة ولم يسمع بها ولم يراها أحد ابدا, ألوف من النظرات الملتهبة والمعاصم الفولاذية تهز الارض وتوقظ الناس من غفوتهم.

أنا كذلك رأيته.. رأيته وطيور السماء جميعا وبإيقاع نشيد جديد يهنئون بعضهم البعض وكتل الغيوم تذرف دموع الفرح, أية دنيا جميلة رأيناها بعد يومين! لقد تبرعمت وأورقت الآمال في وجوه الموجودات كلها, وأمطار ذلك الربيع الثمل تسقط مدرارا وتجرف الاشجان واليأس جميعا, أكست الزهور والاشجار أزهى ملابسها, لا يرى في صفحة أي ربيع أتي فيه (غضب) وحطم قلاع الموت واقهر والقنوط.. ما أروعك يا غضب!!

- 2 -

هذا الصيف ذو لهفة وموسم محرق, انه من مخاضات المواسم المتخمة بالامنيات المباركة, مواسم ربيع التحرر والانعتاق, هذا الصيف من احدى براعم تلك السنة المضرجة بالدماء والغنية بالآمال المشرقة. وأنا ايضا أرى (غضب) ومن لا يراه بعينه

المجردة؟ سافر وهو هائم في بقاع الارض المجهولة, غيابه وخمود زئيره الذي هز الدنيا أصبح الآن وباء قاتلة في أخاديد الاحياء والازقة المظلمة وفي ما وراء الجدران المتداعية السوداء وفي قلوب ونفوس البؤساء، تلك الوباء جلية في سيمائهم. هناك آراء تقول: ان غضبان عاد في صورة تلك الوباء الملعونة, ولذلك يمنعون النظر في الآفاق البعيدة الحمراء, آملين ان يأتيهم فارس من الغيب ويمد يده المباركة اليهم فينقذهم من أوحال ذلك الفايروس الاسود من الغرق والموت المبكر.

وهناك آراء أخرى تقول:

- ليس هذا هو غضبان قط, انه لا يُجيع ولا يُفقر انسان هذا الوطن, انه حنون يأتي للناس نسمات السعادة وآمالا مشرقة.

ان الذي تسمونه الآن (غضب) هو وباء, وللوباء فايروسه الخاص, فبعودة (غضب) الحقيقي فقط يستأصل الغضب الحقيقي وبعودته الميمونة فقط يقتلع من الجذور اليأس وايام السوداء, فلذلك انتظروا قدوم (غضب).. عما قريب يهب (غضب) كعاصفة غير منتظرة وعما قريب يتجلى مع حصانه المدرب ومع غضب الجبال والسهول.

يجب ان يعود (غضب).. ان عصب حياة الناس في هذا الوطن ومنبع بقائهم وموتهم مرتبط بـ (غضب), انه لا يولى وجهه واخلاصه عن اهله ومخلصيه.. وأكيدا سيعود الى دنياه وقبلته.. انه يعود ويعيد تآلفه الروحي السابق مع البستكم وعيونكم واجسادكم

المتعبة ووجوهكم الشاحبة. يا انسان المدن والقصبات والقرى الساكنين تلك السنة في وطن (غضب): بـ (غضب) وقوته ومعصميه فقط يحطم تنين الوباء وفايروسه, لا تكونوا في حيرة وذهول.. لا تكونوا خائرين خائبين.. لا تخدركم وباء اليأس والقنوط.. لا تتركوا السلاسل حتى تصل الى أعناقكم, لا تطأطأوا أعناقكم لحياة باهتة جوفاء, ان (غضب) في طريقه اليكم, انه في هذه المرة سيوقظ آلافا أخرى من غفوتهم, وسيضع رجليه الغاضبتين على رقاب وصدور عشرات الابالیس وقلاعهم, ان عصا (غضب) وهراوته عصا وهراوة الحد.. ما أعظمك يا (غضب)!

- 3 -

الآن ليس ربيعا ولا صيفا حارقا ولا خريفا تتساقط فيه الاوراق ولا شتاء قارص البرد عصيا، لا يعلم احد اسما لهذا الموسم فالوباء القاتم سد جميع منافذ المدينة الذابلة الحزينة, ومرض تناسي الذات أصبح سمة العصر وتقويما لكل الاوقات الضائعة, وكذلك اصبحت الغباوة والجهل سلطانا على العقل والوعي. أنا أيضا رأيته ومن لم يره؟ كان الوقت صباحا والشمس في السماء تقهقه, ورقائق الجليد على ظهر الارض تنثر لمعانها, فلا الحر يؤذي ولا البرد يمدّ اذن الانسان, كان الهواء معتدلا, اخرجت الطيور رؤوسها من أعشاشها.

عجوزة لم تبق في فمها سوى بقايا بضعة سنون مكسورة, وعجوز معوق يحملان صورة كبيرة سوداء لـ (غضب) وهي في اطارها

تلمع, بخطوات هادئة وامام الجماهير الغاضبة يخطوان على درابين شوارع المدينة. في تلك الايام اتشحت الاشياء بالسواد, الناس كانوا صامتين والاشجار والاحجار اكثر صمتا, يقطعون الطرق, وكان بين المتفرجين على سطوح المباني الترابية والعالية يقولون:

- للمرة الاخيرة اودعنا (غضب) في رحلة ميمونة, فمن الآن لا ينتظر أحد زئيره الرهيب, ومن اليوم يحصد منجل الوباء اللعينة صغيرنا وكبيرنا.

كان (غضب) في إطاره اللماع مبتسما, ظهيره كقدومه الاول الحصان المدرب والجبال الشاهقة والبندقي الوهاج, أنا أيضا رأيته.. ومن لم يره؟ كان ينظر وفي نظراته الحادة كل الاشياء, كان وسيما ذو مهابة تدخل الفزع في القلوب والنفوس, تقول العجوزة بين فينة وأخرى والعجوز يردد:

- يا جماهير مدينة الخمود والوباء السوداء.. يا جماهير الكادحين الجائعين في اغلب الاوقات, يا حمالي الاسى والآلام في الايام الصعبة! ها هو (غضب) عاد.. منذ لحظات ادخل قدماه المباركة بيننا.. انه الآن أكثر من السابق غضبا وصلابة في الرأي.. قريبا وكعادته في المواسم الماضية يخرج من اطاره ويزأر زئير الاسد ويستخرج الماء تحت اقدامكم.. اجتمعوا سيروا وراءنا.. نزور جميع الاماكن والى ان يعود (غضب) الى حالته الاولى عندما كان نسرا طائرا يرفرف على قمم الجبال.. والى ان يناديا والى ان تمتزج روحه المباركة مع أرواحنا!

لا تستمعوا الى الذين يفلون من عزيمتكم ويحرفونكم عن المسيرة كونوا صامدين, ان الوباء صنيعة جيوبهم وخزائنهم, ومفاتيح ابوابهم المنيعة موجودة لدى (غضب), انت فقط تحطم جميع الاوبئة.. يا غضب الماء والنار.. يا قاتل مئات التنانين والماردين واباليس العصر.. متى تنطلق من إطارك الاسود اللماع لتمتزج من جديد مع أعماقنا يا (غضب)!

– 1995 –

الجروح البيضاء

ئاكو كريم معروف

الكاتب في السطور

- **من مواليد 1964 في السليمانية**
- **يعمل في مجال الصحافة الادبية ودراساتها**
- **عمره القصصي يبدأ من بداية الثمانينات من القرن العشرين**
- **له عدة مجموعات قصصية منها:**

- غرفة داليا – مجموعة قصص باللغة الكوردية

- آفة الكلمات – رواية قصيرة باللغة الكوردية

- حديقة الضفادع – مجموعة قصص باللغة الكوردية

- كتاب ذو الصفحات الزجاجية – باللغة الكوردية – معدة للطبع

- الجروح البيضاء – مجموعة قصص باللغة العربية – معدة للطبع

- **شارك في عدة مهرجانات أدبية وثقافية وحاز على شهادات تكريمية.**

ملاذ الطيور

قبالة المعسكر وبين الروابا المنهارة والتي قبل ليالي بيضت الامطار الغزيرة أرضها المالحة واطلالها، رويدا.. رويدا اخلطتها بالتراب، وصبتها في المستنقع المغطي بالطحالب والاسماك الميتة.

هناك في الجانب الآخر من المستنقع مرقد سيدة زاهدة، كانت خلال جميع الحروب الضروسة وعند حملات النهب والغنائم تقوم بالعبادة والصلاة على النبى، ذلك المرقد وكما يرويها الجنود" المكان الوحيد الذي لم تصلها نيران المدافع البعيدة المدى والصراخ واستغاثات الجرحى، قبيل الغروب وعند أفول خيوط الشمس من خلال غابات القصب والبحيرة الخضراء" تلون الطيور أجنحتها بالألوان وتعود الى ملاذاتها وهو مرقد السيدة الزاهدة.

في تلك الأوقات وعلى الصخور المسطحة ألتي يصلي عليها المصلون ويتضرعون الى الله" كان صبي ناعس يبدو كأنه لم تمسسه أشعة الشمس، وحول قامته قماش أبيض يقوم بفتح باب المرقد لتخرج الطيور، وبعدها تقوم طيور جارحة وآكلة اللحوم وبطات المياه بصيدها.

في الصباحات يعود الجنود مع بنادقهم الموحلة وأحلامهم الخائبة من خنادقهم المهدمة وعن طرق موحلة آسنة، والبسمات تغسل وجوههم الباكية وبعضهم قاعدون على الخلاء، ونسمات باردة تمس شباك المرقد، فتنطلق الطيور من المرقد الى أماكن بعيدة.

رأيت بين الأسراب الطائرة شعاعا ناصع البياض، شعاعا متألقا كلألئة الدنيا ومرعبا مليئا بالحسرات والألم، شعاعا يشبه في تألقه كأنه نار في الفردوس، وأمام هذا المنظر أجهشت بالبكاء.. البكاء في هذا الصباح الباكر يا الهي كم هو قاسي.. الصباح لازال (حميد بصراوي) خادرا في نومه العميق وهو يضحك بالاجازة العسكرية ألتي أخذها لوفاة والده، ما أردت ايقاظه من نومه العسلي، لأن ما أعرفه وأراه الآن يعرفه أيضا ويراه، الا ان أحدا في المعسكر لايصدقه أنه احيل مرة عن طريق طبيب المعسكر الى مستشفى عسكرية ومكث في قسم الأمراض النفسية عدة أيام وتحت رعاية مركزة.

كان حميد بصراوي من الجنود ألذين يحتاج اليه القادة والضباط الكبار، ولذلك كلما جاء أمر بنقله أخفي عنه من قلم المعسكر والقادة، هذا التلاعب ب حميد بصراوي كان مستمرامنذ ثلاث سنوات. انه حكى لي بأن تغييرات كثيرة حدثت في المعسكر، وعشرات اليالي مكث قرب جثث الجنود ألتي قطعتها الكلاب قطعة قطعة، الفئران والثعبان والديدان البيضاء تجمعت على اللحوم والدماء المراقة على تلك الأرض الرطبة المالحة. حميد يؤكد لي دائما على انه لن ينسى تلك اليلة ألتي عاد من فرنه وهو يحمل حزمة كبيرة من الخبز البارد، في تلك الليلة الرهيبة لايسمع صوته واستغاثته سوى جندي وحيد بقي وهو يصرخ ويستنجد ضد الكلاب السائبة وأنيابها، استمر حميد على حديثه فقال:(كان

منقذي الوحيد في تلك الليلة هو الخبز، وحتى وصولي الى المرقد التهمت الكلاب الخبز وكيسه المترب، رجعت الى المعسكر والكلاب تدعك ألسنتها في دماء).

حميد الآن يبكي في منامه، أرى دموعه البيضاء تسيل على بقايا الأمطار، ومنذ ثلاث سنوات يستيقظ من النوم بفزع وهو يبكي.

في قمة نشوتي وضحكي" أشم رائحة الخبز البارد ألذي ينبعث منه البخار كبخار البحار، ارى رأي العين أصابعه وهي تمتد وتتدلي منذ ثلاث سنوات الى النار، أشخص عينيه أللتين تلونتا بلون النار وأتعرف على زفيره ألذي يسيل من صدره وهو نائم، الصدر ألذي لايحتفظ الا بالأنفاس الأخيرة للجنود ألمقتولين، وذكريات الأيام التي كان على قارب صغير يجدف ويعبر المياه بين غابات القصب ويغني.

كان حميد بصراوي في صغره يجمع قطع الخبز التي تلقى في صفائح الزبالة، وكما روى لي:(وجد في البحيرة التي غطاها القصب قطعة أرض سماها (الوطن الصغير)، صنع من علب دهن الراعي والدبس تنورا، في تلك البقعة ألتي لايحس فيها أحد برائحة قشرة الأشجار ألمحروقة والخبز المشوي، ويقوم بتحويل قطع الخبز الى العجين ليصنع منه الخبز، وفي علبة مكسورة يخلط التمور التي أخفاها في يده بالدهن. في ذلك العالم الهاديء لاترى الا عدة طيور وطيور مائية، حميد يحادثني وكأني جالس وسلة تمر أمامي، ولحلاوته يسيل ريقي.

ألآن وبعد مرور ثلاث سنوات" لايشتري الخبز ولا يأكل من خارج المعسكر الا حميد، يقول الجندي الذي قتل البارحة:-

- في خبز حميد عصارة رحيق التمر.

ويقول جندي آخر والذي هرب مجنونا:-

- لو يوضع خبز حميد على عيني الميت، تعود اليه الحياة.

كان ضابط في المعسكر يسيء الظن في زوجته، في كل اجازة عسكرية يحمل معه كمية من الخبز، لأنه يعتقد ان خبز حميد بصراوي يطرد الأرواح الشريرة من البيت، لأنه يعتقد بأن كل امرأة وحيدة حين تنام فالشيطان مختبيء تحت مخدتها..!. عندما يكون حميد في الخندق وحيدا ويتمدد ويستمع الى تلك الأقاويل" يرنو الى المرقد وكأنه يقول لنا:(ان الطفل ألذي ترك هناك.. هو أنا، وأنا عبارة عن بقايا بطن جائع وليس أي شيء آخر).

النار البيضاء

في أول يوم وصل فيه حميد المعسكر والاستفسار منه عن مهنته والعمل الذي يجيده" اجابهم بأسلوب فاتر:(خباز)، ثم قال:(أنا خباز ولا أعرف أي عمل غير هذا)، وهو يعتقد ان هذا العمل سينقذه في حالته هذه، ويبعده عن الخنادق الدموية والأحذية الغارقة في المياه، ولكنه لم يفكر في ان عمل الخبازة ستصبح له جحيما صغيرا ولا يستطيع الأفلات من جحيمها المستعرة، من تلك اللحظة التي بدل ملابسه التي يفوح منها رائحة ألمدنية بملابس أخرى"

بنى عند مرقد السيدة الزاهدة تنورا على بقعة أصبحت احجارها وأتربتها نتيجة مشي الجنود عليها كالطحين.

في الليالي التي يستغرق الجنود في النوم بعد أن تعبوا من اطلاق النار، يذهب حميد بصراوي نحو المرقد، من صناديق الخالية والتي جمعها ألجنود قسرا كعقاب عليهم، يبدأ بأشعال النار في تنوره، رويدا.. رويدا ومع عملية التعجين يغني أغنيته المحببة والعالقة في ذاكرته الطفولية، ثم يبدأ من خلال وهج النار بلصق ألخبز بالتنور.

في صباح يوم من الأيام" وقبل أن يعود مع خبزه خرج من شباك المرقد دخان أزرق واتجه نحو الأراضي المنخفضة فغطى السهول المالحة، كان الدخان من النوع الثقيل ألذي تغيره الأمطار لونه الى الأزرق الفاتح، وبعد هزهزة الدخان ظهر ظل أبيض في صورة حمامة وكأنها تجمع الحشائش لعشها، ولكن ألحريق بدأ وكأنه أحدث عمدا، قلت ل حميد بصراوي:(هل رأيت شيئا..؟!).

- كلا

أحسست ان عينيها تقولان شيئا آخر، ولكن كان فرحا بصيانة السر لديه فقط، وبعد هنيهة من الصمت منحني الخبز وقال:(اذهب للنوم)، وقبل وصوله الخندق قال لي:(الخبز يكفيكم جميعا). الآن فهمت أن حميد بصراوي يعيش في بدايات الجنون واختلال العقل، وان تلك الأخباز كانت الوجبة الأخيرة للمعسكر.

كنت وحيدا وكأني جالس في المكان ألذي سماه حميد ب (الوطن الصغير) في غابة القصب، والعلب المقعرة وقطع الخبز المرمية وسلة التمر أمامي. أشعلت نارا بيضاء وأنا جالس ولا أعرف متى أتجنن في خندق مليء بجثث ألجنود القتلى، ومتى تحضر الكلاب على جثتي ألجريحة وتوغل في دمي..؟!.

عند العبور من الجروح البيضاء

شمت وهبت من المرقد رائحة الدخان و نكهة الخبز ألحار، قبل عدة ليالي من اعلامنا بأن هجوما كبيرا واسعا يكاد أن يبدأ" لايترك حميد بصراوي نار التنور خامدا، وكانت رائحة ألخبز تخيم على المعسكر، في تلك أللحظات العصيبة كان حميد يحبس دموعه الباردة البيضاء ولا تسمح لها بألسقوط، لأنه يعتقد أن سقوط دمعة يكفي لأخماد ألتنور، يقول في نفسه:(لمن أصنع كل هذه الكمية الكبيرة من الخبز..؟). كان حميد واثقا من لا أحد غيره سيستطيع أكل قطعة خبز، رأى حميد ذلك في المنام، ولكنه لا يتجرأ ألبوح به لأي شخص، لأنه قد عوقب مرة وشد اذناه سابقا لأجل الحلم و رؤية ألمنام، وبعد ذلك ألعقاب أبلغوه بأن ألرؤيا في الزي ألعسكري ممنوع ولها عواقب شديدة منها ألاعدام رميا بألرصاص، اما اعفاؤه في تلك المرة كان من أجل (ان ألشخص ألوحيد ألذي يخبز للمعسكر، كان حميد وليس غيره). أنه يرى ويعرف من مكانه العالي وألمطل على جميع الخنادق، كم هي اعداد

الجنود الباقين، والى أي حد هم مرتبكون ومندحرون، وكم هم مبعثرون محرومون من الراحة والنوم الجاثم على أهدابهم..؟.

عنما خيم الظلام على كل شيء، أو عندما كان المعسكر لازال خادرا في نومه الصباحي العميق" رأى حميد بصراوي عدة جنود بملابسهم الداخلية ومع جروحهم العميقة وعبر غابات القصب والمستنقعات المالحة يهربون الى الجانب الآخر لينقذوا أرواحهم بأي ثمن. هذا ألمنظر كان مضحكا لحميد بصراوي بقدر ماهو مؤلم، لأنه يرى رأي ألعين..، أن هروب أي عدد من الجنود يؤدي الى تقليل الخبز، أو بمعنى أدق، يعني الوحدة والانفراد وفقدان الأحباء والأصدقاء وهذا لايسعده.

وقبل ليلة من الهجوم المعهود حدث ما ليس في الحسبان ومتوقعا. كان حميد أمام تنوره نائما نوما عميقا، وفي هذه الاثناء وبغتة.. سمع نداء استغاثة من جندي جريح وهو يتألم ويصيح و ببندقيته يشير الى الخنادق ويقول:(ها.. هم وصلوا.. اترك الخبز وانقذ نفسك..!!). من الشباك المكسور للمرقد أطل حميد على الخارج ورأى أن النار تحاصره من كل الجهات، وأن الهجوم الموعود انقلب الى هجوم معاكس من العدو، فها.. هو الوحيد الباقي مع تنوره ورغيفه ولا يرى أحد حوله، بخار الدم يعلو من السهل الأبيض، السهل الذي أصبح لهيبا قانيا وكأن النفط سكب عليه.

أفراد مبعثرون مشتتون من الجنود انقذوا أنفسهم بالصدفة من ذلك الهجوم غير المتوقع، ووصلوا الى الجبهات الخلفية، انهم يتساءلون

في ما بينهم عن مصير حميد بصراوي، منهم رأى أنه وقع في كمين لجان الاعدام، تلك اللجان تستقر في الجبهات الخلفية ومهمتها اعدام الجنود الهاربين من الجبهات الأمامية. منهم قالوا، على حافة الطريق العام بين البصرة والعمارة رموه عاريا وعلى جسده جروح كثيرة تكفي لعشرات اعشاش ألعصافير. جندي آخر وهو يحمل دائما على صدره نسخة من ألقرآن قال:(يمينا بهذا ألقرآن رأيت حميد بصراوي وهو يهرب نحو غابة القصب مجروحا وهو يحمل الخبز ولفه دخان أبيض، اللهم لاتكتب عليه كفرا" أنه يشبه ذلك النور الذي يرسمه أحد ألرسامين حول الأنبياء).

قبل عدة ليالي.. كنت منشغلا بقراءة رواية (الثلج)فجاءني نداء هاتف، كنت في حيرة من رقم الهاتف والشخص الذي يطلبني في هذا الوقت المتأخر من الليل:

- هو أنا.. من هو جنابك..؟.

- (بصوت حزين)، أنا محمد خضير من البصرة.. من مدينة السياب، رأيت قبل أيام شخصا وهو يعرفك..!!.

- ما اسمه..؟.

– حميد بصراوي..!.

- نعم أعرفه.. وكنت معه مدة طويلة وفي معسكر واحد..، ولكني لاأعرف الآن.. ماذا حدث له..؟.

- أنه الآن جارنا.. وقد تزوج.. وله ابن وبنتان..، انه يعيش في فقر، وبجانب داره المؤجرة بنى دكانا صغيرا بالصفائح

والقصب لاعاشة عائلته..، وعلم ابنه وابنته مهنة الخبازة.. وتقوم زوجته ليلا ونهارا بعجن الطحين...

- قلت له باكيا..، أخي العزيز بماذا تأمرني..؟

- اريد أن أكتب قصة عن هذا الرجل.. قصة لاتشبه قصصي الأخرى..، يجب على أن أروي حياته..!!.

- مهلا..، بعد ليالي سأجيبك في رسالة..

- نعم، واني انتظرك.. وداعا في امان الله.

عدت الى قراءة رواية الثلج، وما نمت حتى كتبت له الرسالة الموعودة.

في مهبّ ريح غريبة

جلال محمود علي

- من مواليد 1932 في السليمانية
- معلم متقاعد
- بدأ حياته الادبية بالشعر ثم بالقصة والمواضيع اللغوية والبلاغية.
- له كتب مطبوعة منها:

1- منهج الحياة (مجموعة قصصية)

2- النجوم المتلألئة (مجموعة قصصية)

3- قصص للاطفال

4- النسور في الاعالي (مجموعة قصصية)

5- حزمة زهور / مجموعة قصص مترجمة

6- قواعد النحو في اللغة الكوردية (ج 1 و 2)

- الكتب التي تحت الطبع:

1- المنجد في اللغة مترجم الى الكوردية

2- قواعد النحو في اللغة الكوردية (ج 3)

3- مهاباد مجموعة قصص قصيرة

- كتاب: مجموعة مقالات في النقد وبحوث في اللغة ومواضيع أخرى متفرقة نشرت في المجلات والجرائد / معد للطبع.

﴿في مهبّ ريح غريبة﴾

- 1 -

صاحب البيت لكثرة اعماله كان خائرة القوى حزينا وشارد الذهن, يبحث في ليل بهيم عن الشمس، يقول لنفسه: ((في ليلة مظلمة كهذه: ضيوف من كل حدب ينسلون والبيت صغير جدا!!)) النجوم في عنفوان توهجها وتلألؤها، رفع رأسه وقال: أتمنى أن يكون ضياؤها في ليلتنا هذه أكثر لمعانا وسطوعا حيث لا كهرباء ولا سراج، ضيف مع ضيف آخر وبعيدا عن صاحب البيت يتهامسان:

- متى نعود؟
- ليس باختيار الانسان لا ذهابه ولا أيابه.. الا انه لو كان صاحب البيت من القرابة لكان أكثر وثوقا وروحا.
- طول الضيافة والمكوث طويلا كضيف مملّ وثقيل على القلب.
- العودة قبل شروق الشمس صعب.
- كيف حال أبناء العم؟
- أجبروا على ان يعرضوا قلوبهم لريح غريبة, وأوهموهم انهم بتلك الريح فقط يتشافون ويتعافون من عللهم وسقمهم وسيصبحون في دعة وسعادة.

- لألم القلب دواؤه الخاص.

– 2 –

أمّان ضيفتان تتهامسان، قالت احداهما:

- أنا مهمومة مقهورة، فحديثا أدفنت في قريتي أحد أبنائي، كم أنا ولهانة أن أعود الى قريتي فأسقي بدموعي زهرة على قبره، يقولون لي: انك هنا ضيفة وكحسن النية نحن مستعدون ان نسمح لكم بنقل رفاة أعزائكم.. نحن هكذا نواسيكم!! دموع الامّ فاضت وفاضتّ!!

زمرة من الضيوف عادت على متن سفينة وهم يبحثون عن آثار في القرية، فقام سكان مقبرة القرية من أجداثهم ينسلون وهم عراة يشهرون السيوف ويقاتلون الغزاة، قعقعة سيوف الموتى وهدير صياحهم.. ونواح الجثث السوداء تملأ عنان السماء.

أثناء المعارك الحامية الوطيس بين الموتى المنبعثين من مقبرة القرية والغازين الباحثين عن آثار القرية.. نزل ملك بهيّ الوجه هامسا لهم:

- منذ ان كنتم ضيوفا هنا وفي كل ليلة الى الفجر تدور هذه الحرب الضروسة في هذه الجبال والوهاد, وما دمتم ضيوفا فالصراع مستمر لا محالة، يقال ان هذا الصراع سمة من سماة الكون ويستمر الى ان ترسو الشمس في كبد السماء، فحينئذ يرفع هذا الواجب عن كاهل الموتى سكان المقبرة, فيصبح جيش الأشباح مبعثرين هالكين.

- 3 -

صاحب البيت لمَّ جميع سجاياه من الشهامة والنبل..، الا انه كان بدون راحة وهدوء، يذوق ويمتص عذابات الجميع ويتحمل نتائجها، في الليلة الماضية وفي محفل قرأ كتاب شيق. الآن وعلى ساحة ذاكرته يعيد مجريات تلك الليلة,مما جاء في الكتاب ومعه رفاق المسيرة يحللون ويقيّمون الاحداث والايام، يقطفون الزهور، يعشّبون وينظفّون الطريق من الاشواك المعربدة, ومما سمعه في ذلك المحفل:

- الجزائري بادر محدثا: نحن أيضا ذقنا آلام و غصّة كون الانسان ضيفا، من كان مثلي: زرعت بؤبؤة عينيه على باب داره؟
- الكوبيّ بدأ بالحديث مكملا: تأخذ جميع الاعمال سكتها ومدارها الصحيح إن لم يصبح الاهمال واللامبالاة عقدة كأداء أمامها.
- الفيتنامي بدأ حديثه مبتسما: نحن لم نصبح ضيوفا في وطننا, بل زرعنا انفسنا في اعماق الارض, ومنها غرسنا الرماح في خاصرة (اليانكي) حتى خرجت من الجهة الاخرى, ثم وعلى أسنة الرماح أخرجنا أجسادهم ليصبحوا أضحوكة أمام الشمس وهي البنت الأجمل للطبيعة.
- وبعدهم بدأ البولندي حديثه: نحن ذهبنا الى قيعان المجاري ومن هناك احتضننا جميع أصدقائنا في العالم, وبعدها

حررنا شمسنا من محاصريها الاشرار, فتلاقينا مبتهجين سعداء.

- التقط اليوغسلافي الحديث فقال: ولكننا كنا جميعا ضيوفا وصاحب الدار، ليس هناك ما يميزنا من الذئاب السود, فلذا هزموا شر هزيمة، لانهم لا يعرفون من هو ضيف ومن هو أهل الدار، ضيقنا الارض الواسعة عليهم فأصيبوا بالضمور والخذلان.
- تحاضن الضيوف السود ورقصت قلوبهم على ايقاع أعماقهم المسموعة طربا، بدأوا يرقصون وكأنهم سمعوا أنباء عودتهم.
- كان الفلسطيني الجالس بالقرفصاء حزينا, آلام وأشجان كثيفة كأنها سدت فمه لمائة سنة, يجترّ بصمت وغليان آلامه فقال: ومهما كنا ضيوفا فستشرق علينا الشمس, انهم في خيالاتهم الباطلة يعمهون و يمرحون, وسيخثر دمي مياه المحيط الاطلسي.

بغتة وعلى جواد ناصع البياض نزل شيخ طاعن في السن بهيّ المحيّا، كان شبح ملاك مهيب فتقّدم الى وسط الحضور، لمَّ الضيوف في حضنه الفسيح وقال: ما أروع لقاؤنا..هل تعرفوني يا أصدقائي القدامى؟ فالذي ذاق حسرات القهر و (الضيفية) من مظالم هولاكو وجنكيزخان وتيمور لنك وامثالهم.. والذي غرس شقائق النعمان على قلبه ورباها.. لا يبالي بكونه ضيفا لمدة

قصيرة, ثم توجه الى صاحب الدار فقال: انا الجدّ الاكبر لضيوفك فبشرهم بأن الضيف هو الضيف فقط لا غيره!!

*﴿ على هدى – ديدباء وجورج أوريل ﴾
*نحن والانسان

رحمان محمود احمد

الكاتب في سطور :-

- **من مواليد** 1969 / **السليمانية**
- **شهادة الدبلوم العالي في الاشعة / بغداد / المعهد الصحي العالي.**
- **بدأ بكتابة المقالات والشعر ونشرها في المجلات والصحف.**
- **بعد انتفاضة كردستان عام** 1991 **نشرت مجلة (ئاينده – المستقبل) أول قصة له بعنوان (الانتظار) وبعدها دخل عالم كتابة القصة.**
- **له مقالات ودراسات ادبية وسياسية في المجلات والجرائد.**
- **له (**2**) مجموعة قصصية واخر تحت الطبع.**
- **وهو لايزال مستمراً في كتابة القصة والمقالات الادبية في المجلات و الصحف.**

يحتمل ان لا توجد قبيلة او عشيرة بين الاحياء وفية مثلنا, فشيمة الوفاء ورثناها من آبائنا وأجدادنا, صحيح ان احدا لحد الآن لم يسجل علينا خيانة واحدة, نحن والذئاب من قبيلة واحدة, الا انه ومن المؤسف ان حدث العداء بيننا ومازال لحد الآن, ولمرات عديدة سالت بيننا دماء كثيرة, وبعد محاولات عديدة لاجل الحوار والتصالح بيننا وكما سمعتها, فقد رفضت الذئاب التعايش بسلام معنا, كما رفضت ان نبني معا حياة مع الانسان على الارض يسودها السلم والوئام بدلا من العداوة والبغضاء, ان الذئاب بدلا من التعايش معنا ومع الانسان اختارت الغابات والوهاد وطنا لها والاحتفاظ بما تركها لها أجدادها القدماء, ان الذئاب تتهمنا بخيانة بني جنسنا, ونقول لها:

نحن لا نستطيع باعمال التخويف والهجوم والعداء مع الانسان ان نحافظ علينا وعلى نسلنا, يجب ان نكون مفيدين لهم ومفيدون لنا, إلا ان الذئاب وبأسف كانت متغطرسة ومغرورة بدرجة تعتقد انها هي وحدها موجودة على الارض! فمنذ ذلك الوقت اصبحنا والذئاب أعداء لدودين, نسيت ان اقول ان الثعلب لعب دور الوسيط بيننا وبين الذئاب, علما ان الثعلب ايضا من قبيلتنا, وظهر بعد مدة ان وساطته كانت توفيقية انتهازية, يروى ان الثعلب قال لاجدادنا: ان بقاءكم والاحتفاظ بنسلكم من الانقراض والجوع منوط بالتعايش مع الآخرين, بالتخويف والهجوم على الآخرين لا تستقر

الحياة. ومن جهة اخرى قال للذئاب: لا معنى للحياة الا مع العصيان والتمرد حتى لو كانت النتيجة التضحية بالحياة, ومنذ ذلك الوقت سادت بيننا وبين الثعالب ايضا علاقات متوترة مشوبة بالعداء وصلت احيانا الى سفك الدماء.

باختصار توجد معاهدة ابدية بيننا والانسان على ان نتعايش بسلام ووئام, الا ان هناك تصرفات خرقاء من قبل بعض البشر يرتكبونها بحقنا, أقولها معاتبا حيث نضطر احيانا ان نلعن معاهدة التعايش مع الانسان ونحسد الذئاب حيث تعيش بعيدا عن هراوات الانسان ورفساته المتعجرفة!!

الآن حين أقص عليكم تلك الحكايات, فقد هرمت ودبت الشيخوخة والضعف في جسمي, وسقطت انيابي, لقد صرفت عمري في هذه القرية, أظن انك لا تعرف اين تقع؟ انها تقع في الوجه الآخر لحدود الصوت والانباء, بعد ان هدم قريتنا ذئاب متوحشة من ذلك الجيش الذي جاء من صحارى الرجال المقدسين.

لم يكن هناك احد يروي كوارث ونكبات أهل هذه القرية من الانسان والحيوانات, في تلك الغزوة دمرت القرية ولم ينج من أهلها الا انا ومالكي, كنا لسنين نتعايش مع هؤلاء الذين يناضلون ويحاربون الجنود الذئاب المرتدين ملابس البشر, كنت ككلب وفيا لوطن هؤلاء نتعايش ونتعاون, في تلك الايام العصيبة قمت بأعمال كثيرة من مراقبة المسالك والطرق والحراسة وأحيانا كنت حمالا لامتعتهم.

كنت وحتى اليوم الذي دمرت قريتنا ودفن اهلها من قبل جيش الذئاب, لم اعرف ان الانسان كالحيوانات الاخرى نوعان: نوع مثلنا يريدون التعايش بسلام وهم أوفياء, ونوع آخر كالذئاب, فلماذا الانسان يتقاتلون ويخربون أوطانهم وهم من عرق وأرومة واحدة كالذئاب ونحن، في الوقت الذي يعتقد الانسان انهم أفطن وأذكى مخلوق على الارض؟ هل هم عاجزون عن حل مشاكلهم بالحوار؟ ويحتمل كون وسيطهم ثعلبا ماكرا.

أنا من مواليد تلك القرية, أتذكر أني كنت جروا مع ثلاثة أخوان وأختين, أمنا كانت معنا عطوفا رؤوفا, الا ان أبانا كان مجهولا لا نعرفه, نحن الكلاب نتآلف مع أمنا فقط فهي التي تهتم بنا وتأمن حياتنا.

أتذكر انه قبل ان يموت أخواني وأخواتي, أمطرنا يوما صبي عنيف ومتهور بالحجارة بقصد إيذاءنا, كانت أمنا في تلك اللحظة غائبة عنا, فلما عادت شاهدت الصورة, هاجمت الصبي وعضت فخذه, آه يا أمي العزيزة.. فلما عاد الصبي الى البيت باكيا, خرج رجل أعور شبيه بذئب أعور, فبادر الى شد أمي بالحبال وقتلها بعصا غليظة.. رأيت أمي والدماء تتدفق من أنفها وفمها, وكنا نحن الجراء (جمع الجرو) نزعق ذعرا وألما, هل هناك كارثة أشد ايلاما وحزنا من رؤية قتل الام.. أف يا أمي العزيزة! والى آخر لحظات إحتضارها كانت ترنو الينا وتذرف عيناها دموعا.

بعد موتها بأيام, مات أخوتي وأخواتي جوعا, ذلك الموت الذي تسمونه (فطسا وفقعا), ما هو الفرق في الحقيقة بين الموت والفطس, نحن مع كل هذا الوفاء حين نموت تقولون فطسوا, وانتم مع كل خياناتكم تجاه شعبكم ووطنكم يقال لكم ماتوا أو توفوا. بعد تلك الفاجعة الاليمة إهتم بي وأشفق علي احد الخيرين من اهل القرية, وكان يناديني بالصغير و بـ (بازة – صقر). رويدا رويدا تصاعدت سنوات عمري, كنت اصاحب مالكي في السهول والجبال مع قطيع ماشيته, أساعده وأنفذ أوامره, رغم إنعدام لغة مشتركة بيننا, الا انه بالصفير والاشارة يناديني: (بازة.. بازة!) وأنا بالنباح والعواء اتفاهم واياه.

كان مالكي يعطني طعاما جيدا, وبنى لي كوخا صغيرا كمأوى في الليل وأحتمي به في الصيف والشتاء. كنت من جانبي حارسا لبيته ليلا وأجعل من نباحي تنبيها له بوجود خطر يداهمنا. آه لايام الشباب, كم هي قصيرة وسريعة الافول! أحيانا نذهب الى الصيد مع كلب سلوقي, نعم السلوقي منا, الا انهم منعزلون, وهم أكثر منا احتراما ودلالا ورفاهية لدى الانسان, وهم اسرع منا في العدو والهجوم, وأمهر منا في الصيد والانقضاض على الفريسة, ان السلوقي كالكلاب ومنذ القدم اختاروا التعايش مع الانسان بدلا من العيش في الجبال والغابات.

في أيام الصيد عندما يحفزون يصطادون الارانب والحجل وحيوانات اخرى, ومرات كثيرة يتقاعسون ويتباطئون في الصيد,

كنت اجاهد لكي اكتشف ذلك السر: لماذا مرات يباطئون في الركض فتهرب الفريسة, وعندما سألت عن سلوقي معمر في قريتي, أجابني: (إن الفريسة تعدو وتركض لنفسها, أما نحن فنصطاد لغيرنا).

الدنيا في تغير مستمر وغالبا يأتي التغيير ويداهمك بغتة وليس في حسبان أحد, قبل تدمير المنطقة وقريتنا من قبل ذلك الجيش الذي رجاله يشبهون الذئاب, نعيش عيشة بهيجة رخيمة, كان مالكي غنيا, له قطيع من الحيوانات, كذلك له مضيف كبير يستقبل يوميا ضيوفا كانوا أوفياء لوطنهم وحملوا السلاح دفاعا عنه, وكان لي يوميا وجبة طعام دسم او وجبتان من بقايا طعام وعظام المضيف.

آه لعهد الشباب! كنت أجمع كل يوم أحسن العظام لكلبة سماها أهل القرية (شهباء), أضعها أمامها وألحس بلساني وجهها ورأسها وهي متمددة, وبغنج ودلال كلبي تغمض عينيها, كنا في الصيف نتمدد في دربونة ولا ادع ذبابة على وجهها, الا وابعدها عنها بذنبي, وأجعل من ذنبي مروحة لها, واتمنى ان تكون لي عشر ذيول لتكون مهفة بها ابعد عنها قيض الصيف والذباب الكلبي, آه لك يا عزيزتي شهباء!! نسيت ان اقول لكم انه نصادف احيانا نحن الكلاب ان يظهر بيننا كلب كسول لا يستطيع القيام بعمل وله نفس وضيعة, نحن نسميهم متشرد وكسلان وانتم تسمونه كلب سائب وموتور.

يقوم ذلك النوع من الكلاب بالانقضاض على فراخ الدواجن ويلتهمونها, او يولجون رؤوسهم في كوارة ومخازن الطحين والحبوب في البيوت, ويمتهنون السطو واللصوصية في البيوت, وبإختصار انهم لطخة عار في تأريخنا, هذا النوع من الكلاب لم يركنوا الى التمرد كالذئاب ولا يعيشون بالنبل مثلنا, ولاجل العيش يقترفون كل ذلة وحقارة.

في الحقيقة يوجد بين البشر ايضا ناس يشبهون الكلاب السائبة, انهم يتمردون على أخلاقيات والقيم الانسانية, ومستعدون للقيام بأبخس الاعمال واحقرها لأجل العيش فقط.

عندما قام جيش الذئاب الكاسرة بهدم قريتنا وسيق اهلها الى صحارى الرجال المقدسين ودفنوا أحياء كما تبين بعد نباح وعواء التحرير, ظهر هؤلاء الرجال المسخون السائبون كأدلاء أذلاء لذلك الجيش وهم يخونون مولد آبائهم وأجدادهم, إنهم نسخة طبق الاصل لكلابنا الموتورة. كانت شهبائي عندما قامت الآلة الضخمة (بلدوزر) بهدم قريتنا هاجمت بأنيابها الحادة تلك الآلة, لكن وبأسف شديد قام أحد من هؤلاء البشر السائبين وبسلاحه البريء من الشرف بقتلها, وسالت دماؤها على الخربة التي كنا نأمل ان نبني عليها كوخا صغيرا تعيش فيها جراؤنا في المستقبل مرفوعة الرؤوس وا حسرتاه عليك يا شهبائي العزيزة!! وبعد هدم قريتنا إخترنا حياة الجبال والكهوف والسهوب, تصدينا لذلك الجيش الذي رجاله ذئاب وأدلاؤه أذلاء ساقطون.

عشنا هكذا لسنوات الى ان غنينا ونبحنا للحرية والتحرير, الآن انا ومالكي نعيش ايام الشيخوخة واهنين بني مالكي على خربة مضيفه الكبير العامر بالضيوف يوما ما, غرفة صغيرة ليلوذ اليها وينغض بعضا من اتعابه ولواعج أيام انتظاره الطويلة, كما وبنى لي وبجانب غرفته وعلى خربة كوخي القديم كوخا صغيرا بقدر وحدتي.

زرنا انا ومالكي وبعد اعلان الحرية, قصر الحرية المتلألأ المزدان, على أكتافنا وفي روحنا حمل ثقيل من الألم والامراض والجوع, يسكن قصر الحرية رجال كانوا ايام الوفاء ضيوفا دائميين في مضيف مالكي, قال حارس القصر لمالكي: (هنا ليس مكانا للتسول, اذهب الى مكان آخر).

تعرفت على حارس القصر جيدا.. انه هو لحما ودما.. انه الاعور.. انه الذي كان دليلا ذليلا لجيوش الذئاب, فقال الحارس لمالكي: (لماذا تصاحب هذا الكلب العجوز السائب اقتله). عدنا الى قريتنا المخربة يائسين واهنين والى غرفتنا وكوخنا المليئة بالغصة والوحدة, في كل يوم يجلس مالكي تحت الشجرة اليابسة الوحيدة على تل القرية وهو يرنو بعينين ضامرتين دامعتين الى الغرب ويخاطب نفسه: (متى يعودون؟!).

أقصوصتان

أنباء عن قرية في نيتنا جعلها مصيفا

الــفــراغ

أحمد محمد اسماعيل

احمد محمد اسماعيل

***من مواليد- 1943 كركوك.**

***له (7) مجموعة قصصية و (1) رواية.**

***ترجم (4) روايات للروائي التركي (يشار كمال).**

***ترجم (3) كتب عربية الى الكردية.**

-1-

أنباء عن قرية في نيتنا جعلها مصيفا

على وجنات سكان هذه القرية تلمح بداية موسم حزين, والدخان الكثيف لذلك الموسم أنضب الدموع عن عيونهم وصدورهم كصدور الاسماك اسودّت من الاسى, والينبوع الذي يتدفق من ايام (النوح) يريدون الآن ردمه والسيطرة عليه، فدخان ذلك الموسم الجدب النحس يخنقهم ويتقيؤون القطران.

انهم في انتظار عاصفة عارمة تبعثر الدخان الكثيف، انهم في انتظار زوبعة وطوفان يجرف الموانع امام مياه الينبوع الصافية، وتنقذ نهائيا اهل القرية من الضيم والعطش، انهم لشدة خوفهم من العطش كاد ان يبيض سواد عيونهم، واه... لمراسل أو موزع بريد مخلص يبشر (اليعقوبيين) بنبأ انفجار الينبوع.

واضعوا الموانع امام الينبوع علقوا على جدران غرف نوم كل عائلة امرا رسميا يقول: (اما ان تتركوا قريتكم او يحل رأس احد السكان مقابل تدفق الماء ليوم واحد). هذا ما دفعني ان افكر في كيفية الوصول الى غرف نوم السكان فاعلق بجوار امرهم ذلك هذه العبارة: (ان زمن –الضحاك– السفاك قد ولى من غير رجعة، لا تنسوا ولا تضيعوا سيرة –كاوه).

الذين يأملون وينتظرون تبعثر الدخان وتدفق ماء الينبوع، يعيشون تحت مراقبة صارمة، وحتى عدد خطواتهم وشهقاتهم محسوبة ومسجلة، ويسّلمون الى اناس منهم، وتعد لهم ألوف الشراك الدقيقة والمكائد الرهيبة. انا ومنذ مدة ترعرعت لدي فكرة: تعليق لائحتي وشعاري في غرفة نوم سكان القرية في الوقت الذي اشعر بانهم يسجلون عدد شهقاتي، والى اين اذهب فهم يغرزون عيونهم في عيوني ويتابعون خطواتي فانا ارجع الى البيت بالليل متأخرا وبخلسة وحيطة. من جهة اخرى فان امي المسنة مستاءة وزعلانة مني، لانها تعتقد باني وقعت في اغواء ومصيدة سوء، فخدعوني لترك البيت، مما اضطررت على ان اعبر السوق كل يوم وعندما أمر امامهم تنغرس مجموعة عيون في وجهي,

يتركون اعمالهم ويمنعون النظر اليَّ يمنة ويسرة، الى ان يسلموني الى شلة اخرى من ذوي النظرات الجارحة والاعجب بل والانكى من كل ذلك: ان عيون بعض من سكان القرية تتحرك مع عيونهم وقلوبهم تنبض كنبضات قلوبهم ويتعاملون معي كتعاملهم، ونظراتهم المريبة ثقيلة عليَّ.

اليوم وبغتة اريد ان اتوقف وسط السوق وأبوح بكل ما يجوش في صدري، وفعلا توقفت وقلت لنفسي: متى كان الحديث كل شيء؟ كان رأس الازقة ايضا مزروعة بعيونهم (عندما كنا صغارا

ونلعب كانت الازقة تخفي بعضنا عن البعض والآن اصبحت الازقة رقيبة علينا، بل اصبح اللعب فيها لاطفال القرية ممنوعا).

وكعادتي رجعت الى البيت متأخرا فخرجت مفتاح الباب، فاذا بشخصين واقفين بيميني ويساري واخذا بذراعي وهما عابسان متجهمان، كنت متعودا على النظرات المريبة الجارحة، اصبح جسدي كله عيونا مدّ اليّ احدهم ورقة وقال كلاهما:

– علق هذه الورقة في غرفة نومك.

انا وبهدوء خرجت من جيبي قلما وكتبت على ظهر الورقة هذه العبارة: (عصر – الضحاك – السفاك قد ولى من غير رجعة ولن ننسى بطولة – كاوه –).

يداهما أرختا وكأن صخرة كبيرة ضربت رأسهما. وبعكس الليالي الماضية أحسست من أعماقي برفرفة الامل، لان الامر الذي كان في نيتي تبليغه السكان وهو تعليق تلك العبارة في بيوتهم،فالأن بلغته لهؤلاء، الا انه كان من المفروض ان اقول لهما كل شيء بوضوح وصراحة أكثر، من المفروض ان اقول لهما:

(منذ ان فتحت عينيّ كان الماء الصافي ممنوعا عن اهل القرية وان ينابيع القرية مسدودة ، اريد الآن ان اسمّم جسدي واصبح لقمة شهية للحوت او التنين الذي سدّ ينبوع القرية).

لمرات سمعت من غرفتي صوت امي كصراخ وصياح يأتي من بعيد، عندما نظرت فاذا هي واقفة وراء الشباك ولمدة لم افهم ما تقوله بل كنت اصغي لما في داخلي واعماقي، والذي ملأ فكري وأذني هذا الصوت المنكر: (نظرات أمك تشـ .. نظراتهم)، ولكن بعد ان نظرت مليا الى امي تجلى لي: ان نظراتها هي نفس نظراتها المعهودة الحنونة وقالت لي:

- رجل كان هنا والآن غادر البيت، وحول موضوع زواجك قال: (ليس بمقدور ابنك ان يتزوج في هذه القرية لا يجوز لكم في هذه المنطقة التوالد والتكاثر).

من شدة امتعاضي وكبتي لم استطع الاجابة.. دلفت الى سريري البارد، ومع دندنة وعتابات امي بدأ في رأسي سجال حاد: (هروبك تراجع وندامة.. يجب ان نخبرهم بترك الحرية لتدفق ماء الينبوع وتجريف الموانع، وعليّ كذلك ان اعد حفلة عرس بهية لحبيبتي).

الـــفـــراغ

منذ مدة انتهت من غسل الموانع والجدور والملاعق، يبدو ان سرا خبيا جمّد قدميها، القدور على حافة الجدول مغسولة وهي تلمع. رأت عندما جالت بناظريها بعيدا شبحا على جواد وهو يأتي صوب القرية، وبقدر ذرات الغبار المنبعثة من حوافر الجواد أمطر عليها شعاع الامل، ركزت ناظريها على الطريق، خنعت يديها في الجدول ومسحت جدائل شعرها برقة، عيناها احتضنتا الطريق بدون الفكاك عنه، الشبح يأتي ويأتي وهي لا تريد ان تقوم وتغادر النبع.

على النبع وقبالها تقريبا بدت لها امرأتان تحركان يديهما وهما تتهامسان وقريبا منهما بدأ سرب من الوز بالعياط والصياح، وزّ طار ودار نافشا جناحيه بشوق حول وزة اخرى، فجأة وعلى مدى الجدول طار السرب وهي تصيح وتزقزق.

فجأة تدلّت نظراتها على الجدار الذي يجتمع قربه شباب القرية ورجالها وهم يتسامرون ويتحادثون، رأت قرب الجدار شيخا وهو راقد متكيء على سترته، فجأة أعادها صوت من شرود الخيال الى حالها: (القوة.. بدون تعب) وصوت خرخرة الماء، كن عدة نساء يحملن المناجل عائدات من الحصاد، هن واقفات وسط الجدول كانهن في حالة الركوع و يغسلن الوجوه والخدود. جلست احداهن بجانبها وأرخت رجليها نحو الجدول وزفرت ملأ السماء من اتعابها.

- ما رأيتك قبل اليوم تحصدين!!
- عندما يكون الرجال غائبين عنا، هل نترك زرعنا ليتساقط في التراب؟
- هل لك شوق ولوعة لاحد؟
- أكاد أن أموت شوقا لأبي.

هي لم تفهم ما تقصده، لملمت نفسها واضعة المنجل على الكتف وكغزال عبرت الجدول (ليتني كنت مثلك!)

قامت ونظرت الى القرية وهي غارقة في سهول منبسطة الا من الجهة الغربية فقط حيث هناك صف طويل من التلال وهي ممتدة بمدى النظر. القرية ترزح تحت سطوة القيظ الحارق، تبدو القرية كأنها بثرة أوقرحَ كوي كبير ناتىء على جسد تلك السهول، القرية تحن بلهفة ولوعة لظلال الجبال ومجاميع أشجار تواجه السماء، وصل الشبح الى الجدول، كان شيخا مسنا منهكا، لهزاله الجسدي نزل بصعوبة من جواده، وقبل الجواد هو بدأ بالتهام الماء، بغصة وأسى تنفست هي، لقد تبعثرت آمالها كغبار الطريق فهبط وجثم على روحها اليائسة المكتوية، وضعت المواعين والقدور على رأسها، ونظرت مرة اخرى الى السهل الفسيح... جارتها (نخشين) تسير وأمامها عدد من الاغنام، امرأة اخرى تسير وهي تسقي بغلين على الجدول، وقالت لنفسها بيأس وشجن: (مساء أخرى مرت ولم يأت أحد).

الى وقت متأخر وهي تنتظر بأمل.. ذهبت نحو سطح كوخها واضطجعت على سريرها البارد الخاوي، عدّدت النجوم كلها.. وهي

تنتظر بلهفة دقة على الباب.. لم تستطع مواساة نفسها, ومرات تقول: (من قال انه لا يعود غدا؟!)، استلقت على البطن ورسخت يديها على المخدة بشدة وبدأت بنشيج خافت.

طوز / 1978

9
7
8

قصة قصيرة

رسالة من مية

سلام غفور منمي

الكاتب في السطور

- **من مواليد 1936 / قرەداغ / السليمانية، كانت دراسته الاولية في المدارس الدينية في كوردستان، ثم بجامعة أزهر في عام 1961، ولم يكمل الدراسة فيها، فعاد الى العراق وقبل في كلية الشريعة وحاز على شهادة بكالوريوس في الآداب والشريعة عام 1965.**
- **مارس التدريس في المدارس المتوسطة والاعدادية ومعهد المعلمين وأصبح مشرفا اختصاصيا للغة العربية واحيل على التقاعد في عام 2002.**
- **يعمل حاليا كخبير في مديرية النشر والطباعة التابعة لوزارة الثقافة والاعلام في حكومة اقليم كوردستان.**
- **عمل في صحافة الاطفال ومجلة التراث الكوردي.**
- **له (4) اربعة مجاميع قصصية قصيرة و(3) روايات.**
- **له كتاب في الادب المقارن بين أساطير وقصص شعبية كوردية.**
- **له (2) مجموعة قصصية للاطفال.**

في مساء متأخر رجعت، كانت مرهقة ومرتبكة ومكتئبة جدا، تغير سيماؤها وملامح وجهها وكأنها رجعت من مكان بعيد مترجلة وقطعت مسافات طويلة ليلا، أنزلت حقيبتها اليدوية من رف الادوية، ولم تنظر كعادتها السابقة الى المرآة بحيرة وضجر خرجت من عيادتها، خطواتها كانت غير طبيعية وتتشابك، وكادت ان ترتطم بالارض مرات، جلست على مائدة العشاء الا انها لم تذق طعمها.

لتأدية بعض الاعمال قامت، إلا ان ذهولها وشرود ذهنها قد اقعدها في مكانها وهي في حيرة ودوار، أخيرا لاذت الى سريرها وهي مندهشة، ركزت نظراتها على سقف الغرفة وهي تتذكر الكارثة التي حدثت في عيادتها الطبية وأغرقتها في دوامة لاحدود لها من الحزن واللواعج الانسانية.

* (كەژان)! أ لم تكوني قادرة على ان لا تستسلمي لهؤلاء الأوغاد؟

إغرورقت عيناها بالدموع وشفتاها ترتجفان وهي تتلعثم، فتحت عينيها وعزمت على الكلام، الا انها تعثرت، وهي ترتجف كغصن البان.

* لا تخافي .. أنا اعرف بمعاناتك، لست أول إمرأة بهذه الوضعية زارت عيادتي، والوقحان اللذان يرافقانك نجسا عيادتي مرات.

* مم أخاف.. ماذا يفعلون أكثر مما فعلوه.. هل بقى ما يدوسونه؟

* (كەژان)! أذكري كيف وقعت بين براثينهم؟

* في منتصف ليلة داهموا بيتنا لاعتقال زوجي، الا انه وخلال نيران كثيفة استطاع ان يهرب وينقذ نفسه، كان زوجي يعتقد انهم لا يمسون النساء بالأذى، وهناك مأثورة كوردية تقول: (حتى الكلاب لا تنبح بالنساء)، لو لم يكن زوجي استلهم ذلك الاعتقاد، لما هرب بدون سحق رؤوسهم وانقاذي من وحشيتهم.

شفتاها ترتجفان وأجهشت ببكاء حزين ثم عاودت حديثها:

* ثقي دكتور! أعتبر نفسي الآن بقرة تطاردها ثيران وهي في هياج الشبق وتتنافس فيما بينها، أي منها أقوى فتفوز بجسدي الى ان يشبع.. فتأتي ثيران وثيران..!

* قلت حتى الكلاب لا تنبح بالنساء.. إنهم ذئاب ووحوش كاسرة، بقروا بطون مئات الملاك من مثلك انهم لا يشبعون من هدر الاعراض والدماء.

ألقت (كەژان) نظرة على الغرفة والصورة المعلقة على الجدار وأمعنت فيها وتأوهت بحسرة فقالت:

* كم أتمنى ان أكون مريضة حقيقية، وتجري لي عملية جراحية، إلا اني عنيدة منحوسة فلا أصاب بمرض، بل أبقى لأشبع غرائز هؤلاء الوحوش المفترسين، ومن حسن حظ هؤلاء الاوغاد ان يمطر

عليهم المنّ والسلوى، وان كنت قوية مثلهم فمن يتجاسر ان يطمع في جسدي؟

عيناها الخضراوان وقامتها المهفهف وضفائر شعرها العسلي تبهر الانسان وتصيبه بالحيرة والذهول، فمن الجريمة والظلم السافر ان يكون هذا الجمال فريسة لهؤلاء، ذي الجباه المحدّبة، أليس من سوء الحظ ان يدور على هذا الجمال ذباب الكلاب بدلا من الفراشات الجميلة؟!

جرائمهم توسعت، بحيث لو كانت السماء لحافا، ليس بوسعها سترها، انهم ليسوا إلا كوابس مخيفة، أسنانهم مبعثرة غير منتظمة تشبه حزام الخراطيش لقطاع الطرق القدماء، أنوفهم مسطحة ومسحوقة.

- 2 -

* دكتور أغيثيني! ان السماء نائية والارض وعر، فبمن أستغيث؟

* أكتب لك الدواء.

* الدواء؟ انه يزيدني البؤس والألم، هل تريدين ان أبقى على هذه الحالة المزرية؟

* كيف وماذا تقصدين؟

* نعم ان الدواء تعالجني، الا انهم يوغلون في جسدي بنهم ورعونة أكثر.. انهم الآن في انتظار ان أتشافى كي يناوبوا علي، هل أنت أيضا في خدمتهم؟

* فما هو الحل؟

نظرت مرة أخرى الى الصورة المعلقة على الجدار وقالت:

* أرجوك دكتور! إجري لي عملية جراحية أو أزرقيني أبرة فتنقذني من هذا الجحيم، فكل ترفيعة فخذ موتة لي، أية موتة!!

* رسالة الطب ليست قتل الانسان ودفنه، هذه الصورة لعملية جراحية نجحت وصاحبتها الآن تغني للحياة.

* قلت لك اني لست انسانا، بل بقرة، وثيران جامحة تطاردني وتنهش في جسدي.

صمتت مدة ثم قالت:

* هل تعتبريني انسانا؟

* انت انسان وانهم وحوش.

* في هذه الحالة المزرية قد تستطيع الرسالة الانسانية للطب ان تنهي هذه الوحشية، فأرجوك ومراعاة لتلك الرسالة، ان تنقذيني من هذه الحياة البذيئة.

* لو أقوم بذلك، فسأكون في حالتك هذه، وتحت يد السكين كلنا سواء.

* لا أريد ان أكون سببا لعذاب أي انسان، ولكن أية عدالة تقبل ان تكون هذه الذئاب الشرسة تلعب ليلا ونهارا على صدري وتستهزىء بجسدي؟ من الافضل ان أغادر الحياة بأسرع وقت، انهم سيقتلوني حتما ولا يتركوني لحالي، أتمنى موتا أسرع لأحرمهم – كحد أدنى – من متعة جسدي والتلذذ به!

﴿ انها صادقة في قولها، لا أخلاق لهم انهم سيقتلونها، انا أدري بما فعلوا بها! قبل ايام جاءوا بإمرأة اخرى وكانت بنيتها الجسدية أقوى من هذه، الا انه وبعد ايام رأيت جثتها في المستشفى، أنا الآن أمام امتحان عسير جدا.. أنقذ انسانا من أنياب الذئاب ولكن أواري كل هذا الجمال الصارخ في التراب، في حين الانسان مولع وعاشق للحياة وليس للموت ﴾.

* أنا في حيرة من أمرك: اذا أقتلك فلن أنج من تأنيبة الضمير، وصورتك الى ان اموت تطل علي ليلا ونهارا، وهكذا تقتليني معذبة ومقهورة، واذا لم اقتلك، فانهم وكما تقولين تعيش بين أحضانهم يتفحلون عليك وينهكوك فتموتين، لذا أنصحك أن تصبري، مدة علَّ فرصة وإنعطافة ما تحدث في هذا الوضع المشين.

* لحظة موت في يومي هذا أفضل من الحياة لعشرين سنة، الموت لي ضرورة.. ضرورة!

* قلت لك رسالتنا ضد الموت.

* رسالتكم رسالة الجبن والأنانية.. يبدو انك ايضا في خدمة مصالحهم وإستهتارهم بشرفي.. لا تخافي انهم لا يمسونك بسوء ولا يضعونك مكاني.

ظلت الطبيبة في حيرة وإحتراق وانتابتها رجفة وعرق بارد، تأوهت وكأن حزمة من اللهيب خرجت من فمها فقالت:

* أكتب لك وصفة دواء، فبدلا من حبة إستعملي أربع وبدلا من ملعقة، إشربي أربعا...

- 3 -

في عصرية وبينما كانت في عيادتها منشغلة بمعالجة مريضة، جاءت الخادمة برسالة، بعد ان كتبت للمريضة وصفة دواء، فتحت الرسالة وكانت معنونة بـ (رسالة من مية).

تحيرت وتاه في التفكير، ذهنها ترى ماذا حدث، هل كتبت وصفة دواء سهوا والآن يهددوني بالثأر، أم ماذا؟ وبعد هنيهة، إنجلى الموقف:-

عزيزتي دكتورة ج !

((في اليوم الذي كتبت لي وصفة الدواء وخرجتُ، أقحموني في سيارة وذهب السائق لشراء الدواء، وكان شخص آخر جالسا في الصدر، كنت شاردا في عالم الموت، .. الموت الذي بشرتيني انت به، وكان لي بمثابة حياة مترعة خالدة، بل كان بمثابة تحرر شعبي

ورفع راية الاستقلال وهي ترفرف، وان كنت ترضى في تلك اللحظة أقبل يديك وقدميك، إلا انك رفضت وأجهشت بالبكاء، فحتى هذه اللحظة أنا عاجزة عن شكرك)).

((لقد حضر فجأة أمام السيارة ثلاث من ملائكة الجبال، وبلمح البصر كموا فم الجالس في الصدر وعصبوا عينيه ويديه، جلس أحد الملكين مكان السائق وانطلقت السيارة، كنت أعيش في كابوس مريع من الخوف على الملك ثم على نفسي، فخرجنا من المدينة نحو (تانجرو)، والآن أنا (پيشمەرگە)، في قرية (بلكجار) بمنطقة قرداغ.

المخلصة – كەژان

1988

قصة قصيرة

عطـــر الـتـــراب

احمد سلام

الكاتب في السطور

*** مواليد 1941 السليمانية**

*** بكالوريوس في اللغة والأدب الكردي، عمل مدرساً في المدارس المتوسطة والاعدادية وحالياً متقاعد في السليمانية.**

*** بدأ بالكتابة الادبية ونشرها في المجلات الادبية وصحفها منذ عام 1960.**

*** له دواوين شعرية منها (حزمة قصائد نارية) و(مجموعة شعرية كاركاتيرية).**

*** له مجموعتان قصصيتان بعنوان (ايام الحزن) و(اسطورة المدينة الهادئة).**

*** ترجم عدة كتب عربية الى اللغة الكردية منها: (جواسيس حولوا مجرى التاريخ) و(كيف السبيل الى القيادة لمونتوغمري) و (الاعلام والدعاية).**

*** عضو اتحاد الادباء الكرد وصحفيي كردستان.**

للجهل رائحة كريهة جدا, الا ترى اننا نشتري بثمن زجاجة عطر واحدة عدة كتب ومجلات وجرائد؟! ... المترجم ناقلا

أتذكر عندما كنا أطفالا نلعب ونغني في الازقة والشوارع ليلا, وأحيانا نخلط مع أغانينا أهزوجة شعبية تقول: (من بيوتات الكبار تشم .. تشم رائحة الاغيار), ومنذ تلك الايام الغابرة لم تنقطع عن مدينتنا الروائح الكريهة, وفي كل المرات وتحت مسميات وظواهر جديدة تبدأ ببث روائحها العفنة.

هذه الظاهرة تجاوزت حدود أفراد قلة يشمئزون وينزعجون من الروائح الكريهة والاعمال البذيئة, فكل من تسامره وتحاوره يبث لك ركاما وسيلا هائلا مما يحبسه في قرارة نفسه من الآلام والمعاناة, يبدو أن هذا من قدرنا النحس البائس في الحياة والا فان نصف سكان هذه الارض بل أكثرها يعيشون في أبهة حياة مترفة, وهم مغمورون في أريج العطور والزهور والهواء النقي ويصقلون تلافيف أدمغتهم بكل تلك النعم, ولم تبق لنا سوى العيش في روائح مستنقعات الفتنة والنهب والفساد.

ومهما كانت .. فلا أعتقد ان احدا تأثر حتى النخاع ومرض بالروائح الكريهة في مدينتنا مثل شقيقي (هيوا), حتى ان كثيرا من أقاربنا وجيراننا يعتقدون ان تلك الروائح الكريهة تحولت لدى شقيقي (هيوا) الى مرض عصابي ونفسي المَّ به, فلذلك يجب علينا

ان نجمع كل طاقاتنا لاستنجاده وانقاذه من هذه الصدمة الأليمة, والا فان المرض سيتفاقم ويصل حالة اليأس والانهيار.

ذلك ما حدا بأبي ان يعرض (هيوا) على جميع أطباء المدينة, رغم اننا كأفراد البيت لانعتقد انه مصاب بذلك المرض الذي يتحدث عنه الناس القريبون منا, الا ان الاطباء لم يتفقوا على رأي واحد لم يشخصوا مرض (هيوا).

أحد الاطباء قال لأبي بكل صراحة ووضوح:

- لا تتعبوا انفسكم به.. هذا الفتى ومن المحتمل جدا انه تأثر كثيرا بالروائح الكريهة لمجاري المدينة, فأبعدوه ما استطعتم عن المدينة عسى ان يتعافى تدريجيا من الاوهام والخيالات فيعود الى وجهه الانشراح والبهجة.

ارسل أبي (هيوا) الى القرية ليعيش بين أقاربنا وأصدقائنا ردحا من الزمن وحسب توصية الطبيب, الا ان صحة (هيوا) لم تتحسن بل صار أسوأ, مما حدا بأبي مضطرا عرضه لطبيب آخر, فأدلى هو الآخر بدلوه, فقال:

- أنتم تعلمون جيدا كيف أصبح وطننا مسرحا للقتال والحروب الدموية المستمرة, وان الناس يعثرون يوميا على عشرات من جثث القتلى والجرحى وهي متراكمة ومتعفنة, ومن الطبيعي ان تلك الاحداث أفرزت نتائج كارثية أليمة. فكانت سببا لانتشار أمراض خطيرة في المجتمع, ولا أستبعد ان تكون الروائح الكريهة لتلك الجثث قد أثرت في عصب الشم وألمّت به, فأبعدوه عن تلك الاماكن الموبوءة بتلك الكوارث والاحداث الدموية, ولمدة

اتبعنا تعليماته ونصائحه, الا ان (هيوا) لم يقترب من شواطيء الشفاء, بل صار أسوأ حالا من السابق.

في ليلة زارنا أحد الأقارب العائد من الخارج وكان مهتما بمتابعة صحة (هيوا), وزبدة ما توصل اليه هو ان (هيوا) ولعدة سنوات كان جنديا في المناطق الجنوبية, وفي تلك المدة فجرت أنابيب النفط والغاز وأدى هذا الحدث البيئي الكارثي الى تغطية تلك المناطق بدخان داكن كثيف, ومن المحتمل جدا ان (هيوا) تأثر بتلك الغازات والدخان, وأصيب نتيجة تلك الروائح الكريهة, ومضاعفاتها بهذا المرض العصي, وأضاف قائلا: انا اقترح وأستحسن ان يعرض على طبيب مختص في العلاج النفسي.

في الصباح وبسرعة غير معهودة عرض أبي (هيوا) على أشهر الاطباء النفسيين في المدينة, فكان ذلك الطبيب – شهد الله – اجرى له فحوصات دقيقة فأعلمنا:

ان (هيوا) يتمتع بصحة نفسية جيدة, وليس فيه أي خلل نفسي وانه (أصلب من الجوز – مأثور كوردي).

في ليلة نفس اليوم زارنا ضيوف كثيرة, وشارك الجميع في مرض (هيوا) والآمال المرئية في الافق لمعالجته, وبغتة بادر أحد الضيوف بالحديث, فقال:

أقاربي الأعزاء! من المحتمل جدا ان (هيوا) تأثر بالغازات والاسلحة الكيمياوية التي استخدمت في منطقتنا, ومن المستحسن جدا ان يعرض على طبيب اختصاصي في العلاج الكيمياوي ليفحص دمه في مختبر مختص, فبعدها نصل الى كثير من الحقائق.

فعرض أبي (هيوا) وكالمرات السابقة على طبيب مختص في العلاج الكيمياوي, وبعد إجراء فحوصات سريرية ومختبرية, أكد الطبيب وبكل صراحة ووضوح ان (هيوا) لا يعاني من اي أثر للغازات الكيميائية, وبذلك رفع الطبيب معنويات أبي وطمأنه, بل قال له: ان أسباب مرض (هيوا) تتعلق كثيرا بالظروف ومشكلات الحياة اليومية وليست هناك علاقة بالشؤون الطبية.

وبعد كل الاسفار الشاقة بين عيادات الاطباء واجتهادات واستنتاجاتهم وبعد مناقشات وتبادل الآراء بين الاقارب والجيران تبلورت لدى الجميع قناعة راسخة بان الروائح الكريهة للفساد المستشري في مفاصل المجتمع وأعمال السلب والنهب والعدالة الاجتماعية الغائبة.. كل هذه وغيرها قد أثرت سلبا في عقله وجهاز تفكيره, في هذه الاثناء سمعنا الاطفال في الزقاق وهم يرددون الأهزوجة الشعبية القديمة مع قليل من التحوير: (من الكبار والصغار,, تشم رائحة الفساد والعار).

في الوقت الذي كنا منشغلين جميعا بمرض (هيوا) ونتبادل الآراء, سمعنا صوتا رخيما من أقصى مجلس الاهل والضيوف, فاذا كانت الجدة المتكئة وهي تنتصب فقالت:

اني أعتقد جازمة ان ابننا يتشافى ويتعافى فقط ببلسم وأكسير واحد وهو (عطر التراب).

سألناها جميعا باندهاش وذهول:

- يا جدة! ما هو معنى عطر التراب؟

فقالت: أبنائي الأعزاء! أدعوا وتضرعوا لعل أمطار الرحمة تهطل على وطننا, فعندئذ تتبلل الارض فتزفر وتنثر بخارها وأريجها الشافي على الجميع, فمتى وأينما تفوح رائحة الارض وأريجها كونوا واثقين مطمأنين, انها تتغلب على جميع الروائح الكريهة وتجتثها من جذورها النتنة الفاسدة.

من تلك اللحظة أستطيع ان اقول بثقة وأطمئنان: من تعلم نزرا يسيرا من هذه الدنيا أيقن بأن عطر الارض يفوق البخور والعطور جميعا.

قصة قصيرة

الضب [1]

نجات نوري

1- الضب حيوان من الزواحف ذبنة كثير العقد و شبية ب (الحرذون)

الكاتب في السطور

- **من مواليد 1969 – قره داغ**
- **عمره القصصي يبدأ من عام 1992**
- **له عدة كتب منها:**
  - **لعبة رجل – رواية**
  - **مخطوطة الفقهاء – رواية**
  - **أغاني بائع أسماك – مجموعة قصصية**
  - **المساء – مجموعة قصصية**
- **شارك في عدة مهرجانات أدبية وثقافية وحاز على شهادات تكريمية**

(1)

أنا حسن ... الشخص الذي سماني أهل حارتي بـ (ابن الغيمة) أو ابن (عائشة المفقودة) وبأسماء كثيرة اخرى, والآن يجوز ان اكون (حسن) لان هذا الاسم اعتبره أصح الاسماء لي.

في صباح ذلك اليوم المائل للبرودة, وبعد قليل من المشي في ارض مغطاة بالقش والحشائش أطراف المدينة, فتش جدي جيوبي ولم يقل لي غير هذه الجملة: (في ايام اخرى وخلف الغيوم قد نلتقي, من الآن لا يسمحون لنا ان نعيش معا على هذه الارض).

لا اعرف لماذا فتش جيوبي؟ وما ان التفتُ نحو زقزقة سرب من الطيور حتى تفرقنا وتباعدنا انا وجدي, وهناك كما أتذكر أحسست ان يدي بيد امرأة وان كلينا نبحث عن شيء في الوقت الذي كنا نخطو بين الصرائف ورمال الوديان، كانت المرأة آخذة بيدي ولا أعرفها. كنت ملهوفا بالعودة الى ظلال أشجار قريتي او الى زقاق دار جدي وظلال جدرانه، وكم مرة نمتُ في ظلالها، كنت في ذلك الزقاق اشعر بالخوف، فمن اليوم الذي نقلني جدي لاعيش معه يقول لي احيانا: اذهب في النهار الى الزقاق لكي لا يعلم الجنود انك تعيش معي، لان هؤلاء اصدروا اوامر مشددة لاهل المدن بعدم الاقتراب من سكان القرى المحروقة وعدم تبني اطفالهم، لذلك يبعد جدي مكان نومه عن مكاني، عندما أروي لاطفال الزقاق أحداث الانقضاض على سكان قريتي واعتقالهم يمنع الآباء اطفالهم بمجالستي واتمام حكايتي لهم.

ومن الطريف: كان علي ومن الخوف ان انقل رسالة لبنت أحد الجيران الى حبيبها، كان شابا يقف في زاوية من زقاقنا منتظرا ان انقل له الرسالة، كان غالبا يلبس قميصا ابيض وبنطرون أسود وعندما يستلم الرسالة وبدون ان يشكرني يقول لي: اذهب ولا تذكر اي شيء لاحد ما اكثر خوفي منه !!

في يوم من الايام، كنت نائما بين الاوراق المتساقطة من الاشجار وفي المنام رأيت الجنود الذين كانوا يطاردونني يوميا، وعندما قمت من النوم مذعورا، وجدت نفسي مطمورا في أوراق الاشجار واصرخ: جاء الجنود.. جاء الجنود! فشدّني ذلك الشاب وقال لي: اين الجنود.. قم واجلب لي رسالاتي ونسيت هناك حذائي فجلبت له الرسالة.

الى ان يعود جدي يوميا وبحجة الحفاظ على فراخ دجاجه، كان عليّ ان اكون في الزقاق وخارج البيت, كل شيء لي كان بلية ونكبة, حتى اصحاب البساتين وفلاحوها يمنعوني من دخول بساتينهم، كنت مثل كتكوت القطة, فادخل البساتين من خلال السياج المشبكة، في مساء متأخر رأيت عددا من شبان زقاقنا وهم يعرّون في ظلال اشجار الصنوبر احدى النساء، وعلى الاعشاب الخضراء مددوها , نهداها يشبهان النفاخة التي كنت في ايام طفولتي انفخ فيها والعب بها والى ان خرجت المرأة من البستان ومن خلال الاشجار الخضراء كنت أنظر اليهم.

الآن اتلهف للعودة الى ذلك الزقاق, واتذكر ان الشاب الذي كنت انقل له الرسائل قد اختفى عن الانظار... قيل انه قبض عليه وفي جيوبه رسائل الثوار فأعدموه. كنت ارى تلك الفتاة يوميا وهي تنتظر, وانا ايضا انتظر منها ان تحضر وانقل لها رسائلها، مرة قرب الاشجار رأيتها ولون وجهها قد تغير وفي جيدها قلادة فضية، فقالت لي: (حسن ! هل تعرف شيئا عن ذلك الشاب الذي تسلمه الرسائل؟ متى رأيته ولو كان ليلا اخبرني ودق بابنا فاعطيك أجمل الملابس).

لم ير أحد ذلك الشاب بعد, قيل انه قتل وقطع جسده إربا إربا، كنت في تلك الايام أرتجف خوفا وذعرا من الاعتقال، كيف لا وانا الذي انقل له الرسائل يوميا.. كنت أذهب الى البساتين واتخفي بين أشجارها الى مساء متأخر.

في صباح أحد الايام رأيت شيئا غريبا، فقد غطي زقاقنا بأوراق بيضاء وكان الهواء يوزع تلك الاوراق رويدا رويدا, وعندما رأت الفتاة تلك الاوراق المبعثرة وتعرفت عليها، ظهرت بان تلك الاوراق هي رسائلها التي ارسلتها الى ذلك الشاب وهي مبعثرة ممزقة, كانت الفتاة تتحرك بين الاوراق الممزقة وهي تبكي وتسألني: (من الذي مزق الرسائل من؟)، لم يظهر لأحد كيف مزقت تلك الرسائل وكيف بعثرت في الزقاق؟

(2)

الآن ايقنت ان هذا المكان مكان آخر.. مكان مليء بـ (الضب).. مليء بالهويات المصفّرة المتربة: هويات للاطفال والنساء والرجال، كنت أرى عشرات ومئات من البشر وفي ايديهم تلك الهويات القديمة، وينتظرون أحدا يأتي ويقرأ لهم تلك الهويات وينقذهم، انهم يمشون ويتحركون بإستمرار، كانت بجانب كل مجموعة منهم قطعة خشب متهرئة أو صفيحة معدنية كتبت عليهما تأريخ وصولهم الى ذلك المكان.

كان في قريتنا رجل اسمه (وادي)، وكان دائما بشوشا بل ضحوكا, عمره يناهز الاربعين طويل القامة، أتذكر جميع خصاله الجميلة، وعن بعد مئات الامتار يعرفها الناس بضحكته، انه كان أميا وعاشقا الى اقصى الحدود، كان هادئا رقيقة المشاعر يحفظ في صدره مئات الاشعار الجميلة في العشق والحب، وجميع اشعاره محلية تنتمي الى بيئته، والى اوقات متأخرة من الليل يقرأ الشعر على رجال وفتيان قريتنا.

مرة قال معاتبا: (من العجب، انا ضاحك دائما واقول كل هذا السيل من الاشعار للعشق، الا ان رجال هذه القرية لا يعترفون بكوني عاشقا، ولا يريدون ان اعشق احدى فتيات هذه القرية).

يقول عنه الناس: انه عاشق ولكن لمن؟ رغم ان رجال قريتنا كانوا من الطيبين الا انهم وفي عشق بناتهم وابنائهم يصبحون عنيفين

شريرين، كان الرجل في الصباحات المبكرة يجلس تحت اشجار قريتنا ويغني بهدوء.

انا اتذكر كثيرا من الاحداث، انه تزوج مرة، كانت العروس جميلة مهفهف القامة، وبوشاح ابيض واحمر غطوها، ضفائر شعرها كانت طويلة، اقيمت حفلة عرس كبيرة، وتحت ظلال الاشجار فرشت موائد الطعام والمغنون ذووا الاصوات الشجية غنوا للعريس والعروس الى وقت متأخر من الليل.

كان ذلك الرجل محظوظا في كل شيء الا في الزواج, فبعد اسبوع وفي صباح مبكر تدفق اهل القرية في بيته لان زوجته عند انشغالها بتنور الخبز احرقت نفسها وكان زوجها يضحك عليها فأغضب هذا السلوك نساء القرية، وقال لهن: (أنا خطبتها ضاحكا والآن أودعها كذلك).

يقال انه تزوج ثلاث مرات ولم تعش أية منها، انه يضحك بكل شيء ويقول لاهل القرية: إذا لم أضحك في يوم أتمرض، اهل القرى القريبة من قريتنا يعرفون هذا الرجل، مرة وفي مراسيم جنازة، بدأ هذا الرجل بالضحك مما أدى الى غضب وحنق الحاضرين، الا انه بالغ في الضحك وعندما استفسروه قال: لو لم نودع الدنيا بالضحك فسنكون في عز الحياة ميتين. مرات قيل له: عند موتك سنضحك كثيرا، اتذكر اني وبرفقة امي ذهبنا الى المستشفى القريبة من قريتنا لمعالجة زوجتها المحروقة.

والآن وفي هذه الارض الغبراء البعيدة أرى ذلك الرجل الضحوك وفي يده هويته المترية، يركز ناظريه عليّ يبدو انه تعرف على سحنة وجهي، لم اتجرأ ان اقول له: كنت والى آخر انفاس زوجتك حاضرا، كان جالسا قرب القطعة المكتوبة والتعب جلي في سيمائه ولا يريد ان يتكلم احدا، كنت أتلهف ان اترك يد تلك المرأة واذهب اليه ولكن لم تسمح لي.

في تلك الارض التي اسكن عليها هؤلاء البشر يرتفع أحيانا صوت شجي, وهؤلاء البشر عندما ينساب ذلك الصوت الرخيم يرفعون الهويات ويضعونها على صدورهم, ورجل كان يلبس ملابس خاكية وذو وجه عبوس يسير بين الحاضرين ويأمرهم بوجوب الاستماع الى ذلك الصوت الشجي, لم ير أحد وجه صاحب الصوت وكانه جالس وراء كثبان الرمال يقرأ ويرتل الآيات والدعاء, وبين حين وآخر ينقطع الصوت والرجل ذو الملابس الخاكية وحده يتجول بين الحاضرين, ويستأنف الصوت الشجي نثر تراتيله المباركة, في ايام خاصة يدوم الترتيل لمدة ساعة, وبعد قراءة الصلوات ومغادرة ذو الملابس الخاكية المكان, يرفع الحاضرون هوياتهم نحو السماء ويولون وجوههم وجهة الغرب, ثم يقومون وايديهم في التراب الساخنة, فيلبسون احذيتهم التي جلسوا عليها.

يتحركون ويقطعون مسافات طويلة, حاملين معهم القطع الخشبية ولوحات التنك والمكتوب عليها تأريخ اعتقالهم, انهم يتحركون في كل الاوقات وفي صفوف طويلة, لا يتقدم احد على الآخر وهم

صامتون ويتجولون لمدة اسبوع ولا يعثرون على باب وفرجة يخرجون منها ويتحرروا من تلك الارض الرملية الحارقة وسماؤها ايضا تلونت بالتراب.

الهروب من ذلك المكان كان عبثا في عبث, ولاول مرة علمت ان السير والتحرك هنا عبث, الناس في هذا المكان الموحش يتجولون بصورة جماعية وكأنهم أعاصير ورياح دوارة, المرأة التي تأخذ بيدي وعند قراءة التراتيل والدعاء تتوقف عن السير وانا انظر الى القطع الخشبية واللوحات المكتوبة.

(3)

أنا الآن في أرض أخرى .. أرض مليئة بالانتظار, مليئة بالناس الذين يريدون ان يعودوا الى محل ولادتهم وملاعب صباهم, رأيت عدة رجال من قريتنا ومنهم (حاج مصطفى), والذي كان يملك مزرعة كبيرة للكروم, وجعل مسافة واسعة من غرب قريتنا بستانا كبيرا للعنب, وعندما يجعل من عناقيد العنب زبيبا, ادخل بستانه خلسة واسرق منه الزبيب, ومرات رآني ودعاني: (ايها اللص الصغير خذ أكثر وأكثر وإملأ جيوبك بالزبيب ليكون بستاني أكثر خصبا وعطاء). كنت حينذاك أشعر بضيق النفس فاهرب بسرعة أكثر, اذا الآن ارجع الى قريتي أجد في كل زاوية من داري زبيب حاج مصطفى.

حاج مصطفى الان وكما بدا لي كان هزيلا ولف كشيدة الحج الصفراء الفاتحة حول عنقه, كان حزينا شاحب اللون ولا يطيق على محادثة أحد, كنت ملهوفا لاقول له: ما الذي أوصلك الى هنا أو أقول له: (لماذا لا يوجد الماء هنا؟ وكنت تقول لنا نحن الاطفال: احفظوا آيات القرآن وصلّوا حتى يجعلكم الله طيورا جميلة ويمنحكم في مروج الجنة ماء رقراقا أحلى من العسل), أريد ان أقول له: (أطعناك ونراك الآن بدون ماء ولم نصل بعد الى ما وعدتنا به). أراه الآن يسير بعيدا.. بعيدا وهو صامت حزين لا يتكلم أحدا, يبدو انه يبحث عن بستان شبيه ببستان قريته, المرأة الآخذة بيدي جلست قرب لوحة مكتوبة وبدأت بترتيل الآيات والاوراد, تركت حذائي لديها وبدأت بالتجوال حافيا بين الجموع الذين ينتظرون بشوق ان يغادروا هذه الارض المترية ويعودوا الى ارضهم.

كنت في عمر عجيب.. وكنت الى العام الثامن في قريتي, كضب أسمر أتجول في كل بقعة من القرية, وبعدها أخذني جدي الى بيته, وفي زقاق مليء بالاشجار اسكنت لعدة سنوات والآن اوصلني جدي الى هنا يمكن انا وجدي كنا آخر سكان الزقاق الذين أطلق الرصاص علينا في الارض المغطاة بالقش والحشائش وذلك بسبب منع سكان المدن من تبني اطفال القرى المحروقة, فاطلق الرصاص على جدي لهذا السبب, أو كان جدي يحاول ان يبعدني عنه ويطلقني في تلك الصحراء انقاذا لنفسه من تهديدات الجنود.

تشردت حافيا في الرمال والتراب, وهناك رأيت أطفالا من قريتي وكانوا أصغر جسما من السابق, كانوا محتفظين بأدوات لعب الاطفال من: دعابل زجاجية.. الصور الصغيرة الملونة.. سيارات (بلاستيكية) أو المصنوعة من الاسلاك المعدنية أو سدادات علب زجاجية.. رأيت كل هذه وأكثر, الا انهم لا يطيقون على اللعب, وادوات اللعب المذكورة كانت متهرئة ومستهلكة, وعندما لاقيتهم لم يحتفوا بي, رأيتهم وهم ينظرون الى الشمس في الاعالي وهي سابحة في الغبار وهم حائرون شاردون! قلت لهم بشدة: (ان حسن.. رفيق طفولتكم, انا الذي ضربني المعلم وتحت انظاركم عشر سياط عقابا لمنحى عشر قطعة من الطباشير الملون لبنته.. هل تتذكرون ماذا فعل بي؟ تعالوا لنلعب في هذا التراب والرمال.. لماذا انتم صامتون ولا تلعبون؟ لماذا انتم جالسون وايديكم من فرط حرارة الشمس تيبست بأدوات اللعب؟

كنت مع هؤلاء الاطفال نذهب الى الوديان والسواقي, نصطاد الاسماك الصغيرة ونضعها في العلب والزجاجات المليئة بالماء, كانت الاسماك الصغيرة في السواقي القريبة من قريتنا كثيرة بحيث نصطاد المئات منها ولا تنضب , كنا في صيد الجراد, فمن يقتل عددا أكثر يحوز على عنب أكثر.

لم يكن الحاج مصطفى مثل رجال القرية الآخرين, فهو لا يحرق الجراد لانه لايجوز للانسان حرق الاحياء, فكل ما قتلناه يضعها في حفرة ويواريها بالتراب, واحيانا نذهب الى ينبوع النساء وننظر

خلسة اليهن وهن عاريات وعندما ينتبهن يغضبن علينا ويطاردننا, كنا نسخر ونمزح مع راعي قريتنا المعتوه واسمه (سعيد المجنون), كانت زوجته تجمع الخبز في الصباح والظهر والمساء.. وعندما يسألها أحد: لأية منطقة تنتسبين؟ تغضب ولا تأخذ منه خبزا, كانت ذات صوت شجي وغالبا تغني مساء في بيتها, وعندما تُغضب (سعيد المجنون) نقول له: انت تحلب الاغنام خلسة وتشرب حليبها .. او نقول له: زوجتك ستعود الى أهلها ولا ترضى بعشرتك, وعند ذلك يدور عصاه بغضب ويقول: (سأترك هنا ولا أكون راعيا لهذه القرية القحبة).

واحيانا نتخفى من عدة جهات أمام قطيعه, وبصورة فجائية نهرب فتثير الحيوانات, الا انه عند توقف احد الاطفال عن السير يحمله على كتفيه ويعيده الى البيت ويقول لآبائنا: (ستتهدم هذه القرية ما دام يكبر فيها هذا النوع من الاطفال, سأترك هذه القرية والله سيرزقني في مكان آخر).

الا ان سعيد الراعي يمزح ولا يترك القرية, انه ومع زوجته (خاوەر) المجنونة تغنيان في المساء, وانهما عاقران لا اطفال لهما, يقول سعيد المجنون: (بعد سبع سنوات ستكون لنا أطفال, رأيت في المنام النبي ابراهيم, أفديه روحي, وأعطاني قطعة قماش ابيض وقال لي: اجعله قميصا لطفلكم الذي سيأتي الى الحياة بعد سبع سنوات).

هؤلاء الاطفال وبعيدا عن قريتهم رأيتهم صامتين لاحراك فيهم سوى هزهزة الرياح الساخنة لشعرهم, لا يتحاورون فيما بينهم ولا يركضون كما كانوا في القرية, مكثت عندهم مدة وحرضتهم على الكلام والمسامرة الا انهم كانوا مرهقين, يبدو انهم اجهدوا كثيرا بين قريتهم وهذا المكان البعيد جدا عنها, لا أتذكر كم يوما بقيت عندهم؟

الآن بدأ الاطفال بنفض الغبار عن وجوههم وشعرهم, رويدا رويدا تعرفوا علي وقالوا: (حسن ! متى نعود الى قريتنا.. الى السباحة في سواقيها وأحواض وديانها.. حسن ! نحن مرهقون جدا ولا نعرف طريقا للعودة, فقدنا القدرة على ان نلعب ونتلهى كما كنا في القرية, نحن الآن في أرض مليئة بالانتظار, نحن ضبان في هذه التربة الساخنة ولا نعرف شيئا سوى الحراك فيها, حسن ! أنت وصلتنا متأخرا, منذ سنين ولم نشاهد شيئا باردا, بل نشاهد فقط ارضا متربة, لماذا أوصلونا الى هنا؟!).

ومعهم بدأت التجوال, نسير ونمشي مشية الكبار والنساء, كنا كشخصيات الحكايات متيقظين ليلا ونهارا, حكى جدي مرة وقال: سوف تهب ريح هادئة باردة في البداية, ثم تصبح شديدة وساخنة, وتجرف معها ناسا كثيرين الى ارض جرداء يبقون فيها يقظين الى يوم القيامة, وهؤلاء البشر لا ذنب لهم سوى انهم اتبعوا تعاليم النبي عيسى, فلو كان جدي حيا لقلت له: ما ذنب هؤلاء الناس وكلهم من اتباع النبي محمد, فلماذا أسكنوا في هذه الارض المتربة؟

الناس هنا يسيرون بدون ان يعلموا الى اين؟ أشعر انني اسير في المقدمة, فلماذا انا في مقدمة الجموع الكبار, الناس هنا تلونوا بهذه الارض المتربة, كل مجموعة من هؤلاء البشر منحدرون من مناطق مختلفة, وفي مدة أقل من عشرة أشهر رحلوا الى هذه الارض وشردوا فيها, والآن يخافون ان يدفنوا مرة اخرى في التراب لم يكن احد منهم يكتسي لباسا جميلا, سألت مرات: لماذا لا تلبسون أحذيتكم؟ يقولون: لان اصوات أحذيتنا قد توقظ قائد الجنود هنا, وانه برؤيتنا يهيج مزاجه ويتقيأ, وفي كل يقظتها والى ان يخلد للنوم مرة اخرى يقتل عددا منا ويقطعهم اربا اربا.. فنحن حريصون على ان نبقى ولا يقتل منا احد الى ان نعود لأرضنا التي ولدنا عليها, قلت لهم: هذه الارض كلها رمال وتراب ولا يحدث السير عليها صوتا صارخا, الا انهم لا يهتمون بما أقوله واستمروا على نزع احذيتهم.

كنت مع أطفال قريتي نسير جانبا, ومرات اتقدم الكبار لاقول لهم: توقفوا واستمعوا الى الرجل الذي يرتل الآيات والوعظ, وبعدها أعود الى جموع الاطفال والذين لا يتركون أدوات لعبهم وهم لازالوا يمسكون بها.

ترى هنا أشياء غريبة, أكثرية الساعات اليدوية متوقفة في الساعة 3 و 6 و 12 ظهرا, ولا تمر ساعة الا وتصل الى هذه الارض عدد من البشر, عندما كنا نسير لا نهتم بالوقت, من قال لنا ان هناك بابا

لعودتنا, ويحتمل ان الرجال هنا تصوروا في انفسهم ذلك الباب, بدا لي انني ولمدة طويلة لا اسمع تراتيل الوعظ والحديث.

(4)

من أين؟! من البعيد البعيد.. تجلى شخص وهو يسير بشوق وولع ليستقبلنا.. يسير نحونا ويقترب منا لحظة فلحظة, توقفنا جميعا صغارا وكبارا, فاذا بامرأة ذات قامة جميلة, وهي مزدانة بوشاح ابيض, فنادت بصوت جهوري: (يا ضيوفي! انا رابعة.. انا أخت جميعكم.. تعالوا نحو داري.. تعالوا.. كلكم مرهقون, انتم الذين أوصلتكم يد الغدر الى هذه الارض, تعالوا جميعا وعلى هذا النهر نظفوا ملابسكم واجسادكم عن التراب, وانا منذ زمن بعيد انتظركم!).

عندما نمشي وكانت رابعة تتقدمنا, هبت نسمة باردة وكانت رابعة تخطب امامنا وتمشي, بعد ما قطعنا مسافات ووصل الجموع الى ارض اخرى توقفت رابعة عن الخطاب, رايت الرجال عندما يصلون ضفاف النهر ويتبللون بمياهه, يصبحون أشجار التين وأشجار الزعرور والزيتون, عاودت رابعة خطابها والنساء على جانب آخر من النهر يصبحن أشجار العرموط, والاطفال يصبحون أشجار الرمان. كنت أرى كل ذلك وأنادي على الاطفال واقترب منهم, فقلت لهم: لا تصبحوا أشجارا وانا بعد ذلك وفي هذه البرية

الجرداء أصاحب من؟ فلم أحصل منهم على الجواب وأصبحوا أشجار الرمان.

كانت رابعة تغني بصوت شجي الى ان اصبح الجموع كلهم اشجارا وبساتين يانعة, وانا في الغابة الواسعة أركض وأركض والاشجار الباسقة الخضراء تبتسم للنسمة الباردة وتصفق باوراقها واغصانها وانا أتوقف احيانا بين اشجار الرمان, لازالت رابعة تغني وتغني.. وبعدها سمعت انها تقول مخاطبة الجموع:

في هذه المدينة القريبة من النهر وقبل أعوام, كنت ضحية يد الغدر مثلكم, فأساؤا الي وشوهوا كل ما هو جميل في حياتي والآن ان الله قبل مني دعائي وتضرعاتي فجعل من هؤلاء الناس, اشجارا غضة خضراء كانت رابعة تناديني: عندما تعبت من المشي بين الاشجار عد الى أمك كي نأخذ معا برهة راحة وهدوء.

قصة قصيرة

حكايات من وراء الستارة الحمراء

حسن نازدار

الكاتب في سطور

- **من مواليد 1976 / منطقة تاوگوّزى / حلبجة الشهيدة**
- **خريج معهد المعلمين المركزي عام 1998 وهو معلم في حلبجة الشهيدة**
- **في عام 1991 كتب اول قصة له ونشرت في احدى المجلات الثقافية**
- **نشرت له المجلات والصحف مقالات ادبية وثقافية**
- **شارك في اغلب الندوات والمهرجانات الادبية, وحاز على جوائز أدبية منها: مهرجان گلاويژ الادبي لـ (3) مهرجانات, مهرجان الشباب للقصة, (2) جائزة تقديرية لصحيفة (ريبازى ئازادى –نهج الحرية)**
- **طبعت له مجموعة قصصية بعنوان (سحر المرآة السوداء)**

قبل أن يصرخ صبي جارنا: (لقد حرقت الماخور.. حرقت دار الدعارة) كنت اعتقد ان كومة من الزبالة الموجودة على الشارع قد احرقها عمال الليل للتدفئة، الا انه عندما فتحت الشباك.. يا الهي ماذا رأيت؟ جحيما مفتوحا أحاط بها جمهرة من الناس، وهم يصرخون بحماس مزيج بالبهجة والانشراح:

﴿ سحقنا آخر بذرة الفساد.. سحقنا .. سحقنا ﴾.

لا أتذكر هل كان بإرادتي أم لا، إذ طار خيالي الى بداية هذه القصة، الى اليوم الذي ظهر فيه ذلك الرجل وحيدا في مدينتنا، في البداية لم يكن الرجل بنظرة الناس مغبرا أسود كما هو الآن، كلما يسير وحيدا ينظر الناس اليه كعابر سبيل مظلوم، وفي سيمائه يقرأ دائما حزن عميق وخير جواب لذلك الحزن هو عيشه وحيدا بسكون وهدوء، ولهذا سمي بـ (الرجل الاوحد) في المدينة، وسمي داره بـ (دار الحوريات)، لان داره و بعكس دور المحلة المليئة بالضوضاء والزحام والشغب والى يوم حرقها لم تسمع منها صدى بحجم زقزقة طير الكناري.

هناك من يظنون ان هذا الرجل أبكم وأطرش، أو بسبب جريمة ما أخرج لسانه من فكيه، صاحب مكتب دلالية العقارات، ذو اللحية الكثة يقول: حتى في يوم شراء داره تفاهمنا معه بالاشارات، وبدون المساومة والكلام دفع ثمن الدار، وبدون أن يشعر احد وفي عمق ظلام الليل نقل امتعته وممتلكاته من مكان مجهول الى هذا الدار،

وبذلك خلقت حوله أجواء وفضاء أسطورية، وكلما أصادفه على الطرقات وكأنه يكافئني على اكتشافي تلك الاجواء الخيالية، يسلم عليّ برأسه مصحوبا بابتسامة رقيقة على شفتيه، وانا اصيح: (يا أهدأ رجال المدينة ما اجمل خالقك!) ولكن المشكلة والطامة الكبرى وقعت بالضبط بعد ستة اشهر، اذ رفع ذلك الرجل ستارة حمراء امام اضواء ذهبية متوهجة لمصابيح غرفته، وطبقا لرواية الذين شاهدوا تلك الليلة:

قام ذلك الرجل وعلى رؤوس الاشهاد باحتضان امراة وضاجعها وتمتع بها الى انبلاج الشفق، في الوقت الذي يعيش وحيدا ولم يصاحبه احد سوى الله. كارثة تلك الليلة وتكرارها في الياليي اللاحقة عقدت الوضع اكثر فأكثر، وبمرور الايام نشرت دعايات عجيبة واكاذيب غريبة ذات قرون، الى ان غطى هذا الخبر جميع انحاء المدينة، فانتشر المئات من سكان المدينة في زقاقنا وهم من كل حدب ينسلون للنظر الى هذا البيت المنبوذ الملعون، لدقائق يقفون قباله ويستمعون الى احدث الاخبار المتسربة من خلف الستارة الحمراء، والتي ترفع ليلا وفي النهار يغطي الزجاج البلوري بلون أحمر.

احدث وانشط رجل هو الذي يدخل ذلك البيت ويعود منه ويروي للناس الحكايات الواقعة خلف الشباك، لذلك وعلى ما يتخيلونه: زاروا ذلك البيت، فنسجوا قصصا وهمية وروايات خيالية حول (ما وراء الشباك الاحمر)، وبعد مدة يندهشون بقوة خيالهم الباطل

وكيف لفقوا كل تلك الحكايات، ومنهم من يتنافخ ويتباهى فيقول: (انا شخصيا زرت ذلك الماخور عدة مرات تمتعت وضاجعت نساء محلية واجنبية واخذت وعودا لزيارات اخرى).

قليل من مستمعي تلك الحكايات المثيرة يحسدون برواتها ويتمنون في اعماقهم بانتهاز فرصة يوم من الايام ان يزوروا ما وراء الستارة الحمراء.

كان رجل في حينا اسمه (محمد حيران) يروي اكثر عدد من الحكايات حول ذلك البيت، محمد كان مغنجا كثير التفرج والتغازل مع النساء وكان لزق اللسان، له دكان لبيع الحبوب، واحيانا يكتب التمائم للنساء ايضا، قبل حرق الماخور بيوم واحد وقف وسط الزقاق الواقع على الشارع الرئيسي وصاح باعلى صوته:

انا شخصيا رايت اشياء كثيرة، غضب الله عليّ ان كنت كاذبا، في الليلة الماضية وعند عودتي الى البيت اردت ان اتستر لكي ارى واستمع خلسة، رايت ذلك الرجل وهو يحتضن امراة ولم ينفك عنها الا في وقت متاخر، وبعد الفكاك عنها بدأ ضربها بمطرقة حديدية الى ان اغرقها في دمائها وسقطت في الاخير على الارض متأوهة وماتت، وكذلك اعرف ان غرفة ذلك الرجل الملعون مليئة بجثث النساء، وفي النهار عندما يخرج ذلك الرجل من بيته يوميا فهو منهمك بالبحث عن نساء جديدات لماخوره، وكذلك منشغل بدفن الاجساد المتعفنة، ولذا فمن الضروري ان نضع حدا لهجمة الفساد والدم ونريح جميعا وجداننا.

فنتازيا هذا البيت وحكايات ما وراء الستارة الحمراء جعلت من زقاقنا والشارع اكثر مناطق المدينة ازدحاما وكثافة، واصبحت جميع الازقة والدرابين القريبة من ذلك البيت محلات ودكاكين، واصبحت منطقتنا اخصب المناطق للتجارة والتجار، ونتيجة لهذا الظرف الطاريء، ارتفعت اسعار البضائع وايجار العقارات هذا عدا زحام الناس، لو ننظر الى المنطقة من موقع اعلى نرى كانها مدينة نمل يغير موقعها.

الرجال وبخلسة من زوجاتهم يصبغون شواربهم، وبحجة شراء الحاجيات اليومية يمرون عبر زقاقنا، وذلك بامل التقاط الحكايات السحرية المتسربة من وراء الستارة الحمراء، والتي تغلق شفتيها القانيتين في النهار وفي الليل وامام انظار آلاف النجوم تضحك وتستهزيء بالناس، علاوة على ما ذكرناه فان فضاء زقاقنا كانت دائما مليئة بنظرات خجولة للبنات، اللواتي ينظرن من وراء ستائر الشبابيك، وهناك ايضا شبان مراهقون يدهنون رؤوسهم ويسترقون السمع ويختلسون النظرات.

أنا آخر المهمشين على الارض، او آخر كائن هزيل واهن بين صفحات صفراء والقلم بين اصابعه، انا واقف على ساقين ضامرتين ومنهمك بكتابة قصة سحرية تجاوزت حدودها الواقع والخيال والارض والسماء، انا وضعت هذا الزقاق المزدحم تحت رقابتي اليومية، وانا الشخص الاوحد وعن طريق بصر القلم امطرت ذلك البيت وساكنه عطفا وحنانا، ودافعت باليد واللسان عن ذلك

الرجل، الا انني بسبب ضعفي وخروج الاحداث وعقدة القصة عن سيطرتي، صرت أضعف طرف في هذه اللعبة الثنائية بين القصة والزقاق.

احيانا وبسبب زحام الزقاق تقع حوادث اغرب بكثير من القصص الخيالية التي تنسج حول ما واء الستارة الحمراء، كنت اقول لهم دوما: (انتم وبخيالات هي من صنع رؤوسكم تعدون جحيما لانفسكم، وتسخرون بذلك كامل مقدساتكم، انتم تعيشون في أجواء قصة سحرية حولكم تكاد ان تكتمل وتكتب، انتم لا تعيشون ايام حياتكم الحقيقية، بل انها قصة في زمن سحري وانتم المسحورون ويكتب تلك القصة واحد منكم، الا ان كاتبها يكاد ان يفقد السيطرة على شخوصها واحداثها، وتصير كعقد ينفرط خيطها ويتبعثر مكوناته ولا يستطيع الكاتب بسهولة جمعها وتصفيفها، انتم اناس خياليون سقطتم من مخيلة قلم ووقعتم في قصة كاتب ومنها هربتم واهمين الى حياة حقيقية، وبذلك فمصيركم الاضمحلال والفناء لا محالة.

رجل السوق ذو الشارب المفتول والمغازل مع النساء يقول لي مستهزئا: يا معلم! يبدو انك ايضا ومع عجلتك ذات الاطارين والتي تنضح بولا، تدافع عن الماخور وفاجراتها، ويحتمل انك ايضا مدهون الشارب واشبعت من الماخور!!

ان عبثية جهودي واصرار الجمهور الغاضبة وابطال قصتي الهاربين وصمت الرجل الوحيد، كل ذلك عقدت المشكلة اكثر، ان

الشكوك وفقدان الثقة بالنفس كل ذلك نخرت قلوبنا، فوباء ذلك الزقاق مرعبة، اذ ان الرجل من خروج زوجته.. والزوجة من زوجه والاخ من اخته والصديق من خطيبته والاصدقاء من الاصدقاء كل هؤلاء شاردون في الظنون، الشك اصبح كابوسا رهيبا سيطر على قلوب الجميع.

للخروج من جحيم الخوف والشكوك لاذ سكان المحلة الى اكثر من المراجع والحلول وآخرها كانت الخرافة والشعوذة، اذ قال لهم احد عرابيها: (وقعت محلتكم تحت سطوة سحر وطلسم مرعب، وكاد جميعكم ان يصبحوا مقهورين من قبل اضعف رجل وهو يعيش بين ظهرانيكم).

فعندما خرج سكان الحي من دار (فاتح فال)، بدأوا يصيحون ويهتفون باعلى صوتهم: اللعنة على ذلك الرجل ووحدته.. اللعنة عليه وعلى غانياته الفاجرات. في بداية المساء هاجمت جموع محتشدة على ذلك البيت، الآن ذلك الماخور وانا ككاتب لقصص هؤلاء الابطال نكاد ان نجهش بآخر نواحنا وعويلنا. الجمهورالمحتشدة الغاضبة تظن انها تحرق بيتا للدعارة مليئا بالفاجرات، ولا يعلمون ان الدار لفنان سائح، ولا يوجد في الدار غير هيكل امراة رآها الفنان في المنام وهو في هزع الليل، وفي جميع الليالي الماضية كان الفنان منهمكا وراء الستارة الحمراء بصنع هيكل لها وهي عارية!!

*المسرحية التي لم تنته بعد...
*فـي ناقلة ايفـا....

حسين عثمان نيرگسجاري

الكاتب في السطور

- **من مواليد 1937 / السليمانية**
- **خريج المدارس الدينية ثم معهد الادارة**
- **منذ عام 1958 ولحد الآن يكتب مقالات ادبية وتراثية باللغتين العربية والكوردية**
- **ترجم كتبا عربية الى الكوردية أو حقق ومنها:**

– **مذكرات ميجر نويل في كوردستان بالاشتراك مع حسين احمد الجاف / 1984**

– **المستطرف الجديد / هادي العلوي / 2004**

– **عمائم ليبرالية / رفعت السعيد / 2006**

– **قصة رجل حقيقي / بوريس بوليفوي / رواية / 1999**

– **الكتاب الاخضر / معمر القذافي / 1998**

– **الكورد وكوردستان / درايڤر / بالاشتراك مع حسين احمد الجاف**

– **هكذا تكلم هادي العلوي عن الكورد وكوردستان / اعداد وتحقيق / 2006**

– **غابات من قامات الكورد / مقالات وخواطر / 2007**

– **انتاجي القصصي قليل وضمنت هذه المجموعة قصتين فقط وهما:**

1– **المسرحية التي لم تنته بعد / 1968** 2– **في ناقلة ايڤا / 1998**

في تلك الامسية كانت السماء كالوضع النفسي لـ (خسروي), مغبر الوجه, فألقت بكلكلها على صدر مدينة (هـ), فقرر ان يقيم هو ونصف بطل عرق حفلة في احدى زوايا النادي, كان خسروي كما رواه فيما بعد; خائر القوى النفسية والجسدية بدرجة لا يحتمل أي إحتفاء ببعض من الوجوه البشرية, والذي أضناه حتى النخاع هو موعد لقاء مع خطيبته (پروين) فالمفروض ان يتم اللقاء قبل خمسة أيام في العاصمة, إلا ان تاخر خلفه (پروين) ونكوص وعده مع الخطيبة جعلا من حياته جحيما لا تطاق, انه يتلظى ويحترق على جمرات الانتظار.

أسرع خسروي في لملمة نفسه وخطا صوب النادي, بدأ انه يعتقد ان الخمر سيكشف له مجاهل الارض, لحظة مغادرة غرفته كما قال لم يترك سوى توصية لخادمه ; بارسال أي شخص غريب يسأل عنه الى النادي.

كنت ولاعمال خاصة بعيدا عن مدينتي منذ شهر, متاعب السفر وهزهزة السيارة قد استنزفتا جزءا كبيرا من طاقاتي, في مقهى على الشارع الرئيسي جلست, وحينما كنت احتسي الشاي, شاهدت خسروي والكآبة في سيماه والسرعة في خطواته, لاحظت زوبعة نفسية في كل حركاته, وحتى ان شعر رأسه لم يتمثل للتمشيط والتجذيب, عندما عبر امام المقهى ودار حول الشارع, كانت عيناي الفضوليتان تتابعانه بنهم.

لملمت تلافيف دماغي وبدفعة واحدة إحتسيت الشاي وبدأت مع نفسي حوارا صعبا:

لمدة ثلاثة أشهر وانا لم أزر النادي, فقررت في الحال, ان أزور مع حقيبتي السفرية النادي الوحيد في المدينة, واصب نصف بطل من النار السائل على العروق والتلافيف المجهدة, وفي النادي ايضا اتعرف على اخبار المدينة, فقررت ان اجرجر جسدي المتعب صوب النادي.

النادي – وكما أحسست – كان خاليا تقريبا من رواده, قفزُ النادي دفعني بقوة الى البحث عن اخبار المدينة, أمعنت النظر في كل بقعة من زوايا النادي, فلم أجد من معارفي واصدقائي احدا, يبدو ان القدر قد هيأ جميع المستلزمات لعرض تلك المسرحية الرهيبة.

وأخيرا قررت ان أجد زاوية مهجورة واقيم فيها احتفالي البائس, وبغتة صادفت (خسروي) وهو قابع في زاوية نصف مظلمة, كان وكما بدا لي منهمكا بتهيئة كأس جديدة. بدءا حاولت أن لا يراني, إلا انه وما ان شاهدني وأنا احمل حقيبة سفرية ومتاعب السفر ربما كانت بادية عليّ, أبحث وكما اعتقد خسروي عن شخص ما, فقام متوثبا في مكانه واستقبلني بحفاوة تنم عن لقاء ينتظره بنهم وشوق.

كدت ان اضطرب, الا اني تمالكت نفسي, سمعت عنه انه حلو الكلام, حسن المعشر وصاحب نكات, فوجدت نفسي امام موقف محرج... فقررت عدم البوح, ربما لئلا يشعر بالخجل, لم استطع

الافلات من إحتفائه المسرف بي, فشدني من كتفي واجلسني قباله وقال:

- منذ ايام يا سيد (پرويز) نقلت الى هذه المدينة خلفا لي وعيناي تعبتا من طول الانتظار!

لقد غرقت في واحة من الخيال, كبرق خاطف مرت امام ذاكرتي عشرات القصص والافلام البوليسية الرهيبة, وآخرها جريمة معقدة حدثت في لندن, واصبح الكشف عن خيوطها عصيا على جميع مؤسسات الشرطة, ولكن شاءت الصدفة بعد سنتين وعن طريق أهون خيط – أن تنفك ألغازها (أمر نقلك خلفا لي, يا سيد پرويز), وهنا أيقنت ان اسم جنابي الليلة هو (پرويز), وسأصبح فيها ممثلا... لا ضير, فحينما كنت طالبا في الاعدادية مثلت في مسرحيتين, فالليلة أبعث تلك الموهبة الخامدة وأصقلها من جديد, باسلوب اعتيادي وبابتسامة تشي بانزعاج قلت لـ (خسروي):

- بعد هنيهة سأسرد لك يا مولانا أسباب تأخري.

بدت على محياه مسحة إحمرار توحي بالندم, فاعتذر لي وبادر بسرعة الى طلب العرق والمزات.

- يبدو انك تعب جدا, حضورك كان في وقته, لقد انقشعت الغيوم السوداء عن روحي.

كنت شغوفا ان اعرف أسراره وأقرأها مليا فقلت:

- أراك تشرب ببطء شديد... ها أنت ولحد الآن تداعب نصف بطل... هيا... هنيئا وعلى طريق التعانق مع أهدافنا وآمالنا...

- والآن أطلب مزيدا من المشروب, (فرفع كأسه) هيا على طريق الوصول بأهدافنا... لكن...
- ولكن ماذا؟
- منذ سنتين وانا أعيش في هذه المدينة بعيدا عن الاهل والاصدقاء, تستوجب وظيفتنا أن نكون أنت وأنا في كل يوم عدة أشخاص, وندس أنوفنا في أسرار ونفوس هؤلاء البشر وشؤونهم, وغالبا تصيبنا التداعيات المسرفة في شؤونهم بالتيه والدوار.

وهنا تجلت لي حقيقة خسروي ودوره الشائن في المدينة ودوري في هذه الليلة, ولكي اكون مسيطرا على زمام المبادرة وصفاء الذهن, فعلي تقنين الكؤوس, لا مناص فانا الآن على خشبة المسرح, فقلت:

- أرى ان وظيفتنا من احسن الوظائف, وان مصالح شعبنا العليا من صلب عملنا, يجب علينا مراقبة هؤلاء الجهلة الرعاع, والا سيصبحون لقمة سائغة للمشاغبين, فكل مخالفة وفكرة وافدة نطمرها بالسجن والعقاب.
- نعم... نعم بالسجن والعقاب (مستهزئا).
- من احسن المعالجات في هذه الايام.
- يبدو هكذا كنت هناك... لا تثريب... فنحن ايضا كنا نفكر على هذا المنوال, تعودنا على تلك الاساليب الكلاسيكية ونستمع الى تلك الالحان البالية... ولكن...

لقد وجدت الفرصة الذهبية, فأرديت كلمة (لكن) الى نحرها وبادرت أطلبه بإلحاح:

- أرى من المحبذ جدا ان تعجن جميع تجاربك وخبراتك المكتسبة وتجعلها لي لقمة شهية.
- يا سيد (پرويز) لقد اصبحت فكرة الوطنية في هذا العصر وخاصة لدى هؤلاء الرعاع لا تقاوم بالسجن والعقاب... بل ان العنف يجعلهم أكثر إصرارا على العمل والمقاومة, فنتيجة لعشرات الاخفاقات والتداعيات توصلت الى أنماط خاصة في العمل, فإليك هاتان القصتان:

منذ مدة وبوشاية رجالنا علمت ان هناك عضوا نشطا في احدى تنظيماتهم باسم (رزگار) وانه في حفلة بمناسبة (نوروز) ألقى كلمة مؤثرة أشعل نار نوروز في قلوب الحاضرين, فقررت في الحال أن أذبحه وأحرقه بنفس كلماته... لكن متى وكيف؟

بدا لي خسروي مرهقا, لقد رشف بنهم رشفة من كأسه, وأشعل سيجارة, انتهزت هذه الفرصة لتجميع أفكاري ولأكون أكثر استعدادا لاكمال هذه المسرحية الرهيبة, بشعور من الزهو عاد خسروي الى اكمال قصة(رزگار):

في عصرية يوم ربيعي بديع يخرج الناس من بيوتهم للنزهة, رأيت رزگار مع أحد أصدقائه جالسين في ظل شجرة, وكانا كما نحن الآن, يشربان يبدو من حالهما انهما يرغبان في التستر والا يراهما أحد, في طريق عودتي كانت الشمس تشرف على الغروب, المطر الربيعي

بدأ بالهطول, خطر ببالي الاقتراب منهما بسيارتي... ثق بانني في تلك اللحظة أجهل سبب اقترابي منهما, إلا ان هطول الامطار وعامل السكر دفعا بـ (رزگار) وصديقه الى الانزلاق نحو سيارتي الجيب, يحتمل انهما لم يعرفاني ويحتمل الا يكون كذلك, الا ان هؤلاء القوم بسطاء وسذج...ذووا قلوب صافية وخاصة عند أوقات شرب الخمر.

- والنتيجة؟
- في ضواحي المدينة نزل صديقه, أوصلت (رزگار) الى وسط المدينة, تجولنا شوارعها, في بعض الاماكن العامة ارخيت سرعة السيارة لكي يراه الناس جيدا, أخيرا نزل قرب بيته.
- حقا كانت أروع نزهة!
- لم تأت النزهة بعد, لم تبق كلمات ويمين للبراءة عن علاقته بـ (خسروي) الا وقدمها (رزگار) الى رفاقه واصدقائه, أنا وعن طريق بعض من رجالي أجَّجت نار الشك والاقاويل ضده, في مدة قصيرة ونتيجة نأي الاصدقاء والاقرباء عنه, أصيب بالمرض والضمور, وفي النهاية خنقه الشك وذبحه ذبحا!

هذا هو الانسان الكوردي, وباحدث أسلحة فتاكة يجعلونه مسخا خاوي الروح, عزيزي رزگار! لقد حاول الذين يعرفونك جيدا إبعاد التهمة عنك, إلا ان ذلك الشك اللعين اصبح زلزالا جرف كثيرين الى الهاوية, فأضطر الجميع ان يصطفوا ويطلقوا النار على الظلام, بزلزال الشك انزلق آخرون الى مزابل الخيانة, ولكن كما تبين في هذه

الليلة كنت نقيا ولم تصبح شوكة وسَلِم المناضلون من لسانك, فاذا الموت منحني الفرصة فسأردّ اليك الحياة المترعة والخلود.

كان خسروي حين يسرد هذه القصة المخزية, يتألق زهوا وشعورا بالانتصار, إرتشف من كأسه حتى الثمالة وقال:

- **الوقت متأخر وانت متعب, وما تراكم عندي لا يتم سرده في ليال.**
- **أنجح الاساليب خطوت, وعلى هداك سأهتدي بل وأزيدها توابل ومطيبات, وكم اتمنى ان تسرد لي القصة الثانية.**
- **لاداعي... لا داعي وسيأتي يوم ما أجمع مذكراتي في كتاب وأطبعه.**
- **يبدو انك مولع بالكتابة والقراءة ايضا, وفي الحقيقة انك مخلص لشعبك!**
- **ولكن مذكراتي تنقصها قصة أخرى, فليتني أتمم فصولها.**
- **خطط لي وسأنفذ حذافيرها.**
- **الوقت متأخر يا عزيزي (پرويز).**
- **الوقت في بدايته, لنطلب مزيدا من الخمر, يبدو انك تشعر بنقيصة ان ساهمتُ في كتابة صفحة من مذكراتك, هل أنت بخيل الى هذا الحد؟**
- **يمينا لم أقصد ذلك, إنها قصة كقصة (رزگار), أحد اعضائهم النشطين وكما سمعت انه شجاع جدا, وخبير في عمله, أردت أن أوقعه في مصيدة, إلا انني تأخرت في ذلك.**

- أطمأن فسأكملها بأحسن منك... أعطني عنوانه كاملا وسترى!
- من ثنايا التقارير والروايات الشفوية أعرفه, إسمه (أوميد), وعدني أحد أصدقائنا ان يعرفني به, الا ان ذلك كان من نصيبك.
- ولك الفضل في الكشف والتخطيط.
- يبدو انك لا تميل الى النوم يا (پرويز), ولكن صحتي سيئة, قم لنرجع الى البيت وهناك جدد كأسك واطلع على مذكراتي, انه غني بچرزات (رزگار) وأمثاله فاجعلها مزة كأسك!!

في بداية جلستنا كانت مجمرة ذكرياتي خامدة بعض الشيء, يغطيها رماد المشاغل اليومية, الا ان الكلمات الاخيرة لـ (خسروي) وارواح الشهداء (رزگار) والآخرين قد صبَّت على تلك المجمرة سيلا من النفط, كدت أن أحترق وأصبح رمادا, فلولا قراري بالانتقام لما انطفأت تلك النار وانفضح أمري.

المدينة كانت نائمة في حضن الظلام وأمواج الشك والحقد تعصف بها, وحش الشك كان متربصا في كل زاوية, في طريق عودتنا الى دار خسروي كاد الشك ان يخنقني كيف لا... فيجوز ان يكون خسروي أفضل مني تمثيلا في هذه المسرحية, يجوز – من حيث لا أدري – أن أكون في نفس مصيدة (رزگار), الا ان خسروي انقذني من ذلك الكابوس المريع, فعصف بذلك الشك وقال:

- عزيزي پرويز! هاك مفتاح المنضدة, ليس بمقدوري الجلوس معك, ليلة سعيدة هانئة.

ألقيت نظرة سريعة على الغرفة, كنت شغوفا باعداد كأس جديد, ومن ثنايا مذكرات (خسروي) تعانقت مع (رزگار) وضحايا المدينة الآخرين.

حين انتهيت من اعداد الكأس والمزات, علمت بدقة ان خسروي وقادته اطلقوا عدة وحوش كاسرة للعسف والنسف, ومن أشرس تلك الوحوش (الشك), لقد غلَّفوا الجدران الداخلية للنفوس والارواح بالشك, فأصبح تشخيص الانقياء عصيا في حين كان قضم اللسان وشراء الذمم سهلا.

وبغية اسدال الستار على الفصل الثاني من المسرحية وتهيئة المستلزمات الضرورية للفصول الباقية – جمعت كل ما هو ضروري وحشرتها في الحقيبة السفرية, ووضعت هذه الوريقة على المنضدة:

﴿أطمأنك يا سيد خسروي, سيقوم شعبنا في يوم من الايام وعلى نفقته الخاصة بطبع مذكراتك, وسينشرها في أصقاع الدنيا, هل تدري لماذا يا مولاي: لان تلك المذكرات صفحة دامية من تأريخ نضالاته – ليلة سعيدة – أوميد﴾.

ومن يجعل الضرغام بازا لصيده

تصيده الضرغام فيما تصيدا

فـي ناقلة ايفـا

ما اروع لحظات لقاء الاحبة وافراد العائلة بعد معاناة ولواعج الفراق ، كما وانا مولع بتلك اللحظات العطرة رغم ندرتها عندما يعود الاحبة من الخارج بعد سنوات من الغربة والضياع .

هنا استميح القاريء الكريم اذ شاغلته بفنتازيا خيال رومانسي ان صح التعبير ، من الان ابث لكم هموم عائلتي الصغيرة وما اصابها من الارزاء والكبوات ، المنتجان الوحيدان في العائلة هما انا وابنتي المعلمة ، والباقون هم المستهلكون .

فتلك زوجتي شيرين رغم انها مريضة ، تعجن الامها مع متاعبنا فتصنع منها غذاء واكلات شهية ، والاولاد مبعثرون نهارا في أزقة حينا وأروقة المدارس ، وعندما تجمعنا مائدة الطعام " تصبح اخبار المحلة والمدارس من اشهى المقبلات لنا .

في ذلك المساء المشؤوم وقبل ان نلم حول مائدتنا دلف الينا بغتة احد الجيران ، يتقاطر من سيمائه الحزن والغضب فأنبأنا متلعثما :- فرع الحزب في المدينة اصدر قائمة جديدة لترحيل مجموعة من العوائل التي لم تصحح قوميتها الى العربية " كأن الله اخطا في خلق الناس شعوبا وقبائل ومختلفين في الالسن " .

من يرحل حسب هذه القائمة والى اين ؟ ، كلفت دائرة امن المدينة والشرطة بالعمل ، يقال ان رحلتنا هذه المرة الى الحلة او الرمادي ،

وكالمعتاد في المرات السابقة تسلب دورنا وتسجل على ازلام السلطة المستوردين من المناطق العربية .

في ذلك المساء اللعين ساد الهول والفزع كل عائلة في المدينة وحتى شقيقي (رزكار) المخبول ، كنت احاور نفسي:- " من يدري ان عائلتنا ضمن هذه القائمة ؟ اذا لم نكن فسنكون حتما في قائمة اخرى ، فحسب مخططهم العنصري يجتثون عن هذه المدينة الانسان الكردي حتى عملاءهم الكرد الموتورين " .

يا لهول الكارثة عندما يجوش رئيس العائلة ببكاء صارخ " بدلا من ان يكون مواسيا وظهيرا معنويا لهم ، تذكرت في هذه اللحظة رواية (الرجال تبكي بصمت) لاحد رواد القصة في العراق وهو (عبد المجيد لطفي) من اهل هذه المدينة ، واعتقد انه تنبا لحالنا هذه رغم ان الرواية تخص نضال الشعب الفلسطيني ، ان الادباء والمبدعين يتنبأون ويتواردون الخواطر احيانا ، انهم انبياء بدون وحي سماوي وذووا قيم ارضية !.

بعدما افقت من الصدمة الاليمة ، حاولت ان اخفف من روع اسرتي وفزعهم ، فاعدت اليهم نتفا من معنوياتهم المنهارة ، اني هنا لا استطيع ان انقل اليكم تفاصيل صور البكائيات لنساء و رجال حارتنا الطيبين ونواحهم على مصابنا الجلل ، لا انقل اليكم قسوة ووحشية رجال الامن حين داهموا بيوتنا وكيف حشرونا وعدة عوائل اخرى في ناقلات ايفا العسكرية !! .

كان شقيقي المخبول (رزكار) عندما قتل اخي الجندي في الحرب الايرانية – العراقية وعندما توفي ابي " لم يبك فقط بل كان يضحك مقهقها ويغني اغنيته المحببة (به وبه و)اما اليوم ونحن في ناقلة (ايفا)قد هزه الترحيل القسري فانفجر في اعماقه بركان من الغضب ثم بدأ بالتعبير عن وضعه المزري المبكي بكلمات وجمل لا يقولها الا العقلاء وكأنه لم يكن في يوم من الايام مختل العقل !!

ساورتني الفكرة الشائعة وهي ان رجة وصدمة ما " ربما تشفي مختلا او كئيبا ، والا فبماذا افسر كل هذه الجمل والكلمات المعقولة وهي تنسال من شفتيه وهو في ناقلة ايفا وعلى مسمع من رجال الامن القساة ؟ ! (لو في سفرنا وتشردنا هذا " يتشافى رزكار فنحن الرابحون) ؟ ! فنحن لسنا مكبلي الايادي والارجل ، فعندما نستقر في الحلة او الرمادي " نبيع حاجياتنا ونبدا خلسة رحلة عكسية جديدة ولو على صدورنا الى كردستان ، الم يبدا الكرد (الهماوند) المرحلون قسرا الى ليبيا ايام العثمانيين رحلتهم الماساوية الى كردستان فوصلوها ؟ ! .

وهناك في كردستان سنكون بين ابناء قوميتنا واقاربنا ، وهناك يعيش شقيقي وابناء عمي ، وهناك اقارب زوجتي وهم يعيشون في السليمانية واربيل وكفري وكلار.

لقد بدأت كل هذه الخيالات والهواجس بل الاكثر تنهش في اعماقي وتهيجها حد الغثيان ، كنت ولعدة لحظات اضحك واواسي عائلتي وابعد عنهم الهموم والكدر ، ومرات يختلط الضحك بالبكاء ،

واحيانا يعصف بي الخوف من التجنن ويتشافى (رزكار) من جنونه (هذا حسن ، فتراجيد الشعب الكردي مستمر لمستقبل مجهول ، وفي كبوة وصدمة اخرى اتشافى ، ويحتمل ان يختل شقيقي (رزكار) للمرة الثانية وانا ايضا !).

بينما انا اعيش في دوامة من الخوف والحزن وفجاة انتابني موجة من الضحك الصارخ مقهقها ، فوجدت زوجتي تهزني بعنف من الكتف ويشوبها التوتر والانفعال فقالت :-

- يا رجل ! من العار والشنار ان تضحك ونحن امام دائرة الامن ومحشورين في ناقلة ايفا وامام مصير مظلم بل هو في كفة العفريت ! .

- عزيزتي (شيرين) ما يضحكني هو عودتنا من الحلة او الرمادي الى ملاذنا كردستان .. الى اقاربنا ، وهناك هم يعيشون احرارا بدون خوف ، ولكن كردستان تعاني ايضا من فتن وحروب هي من خلق ونسج اعداء الكرد ، فلماذا لا اضحك ملء شدقي ولا ابكي بمرارة ، لماذا لا يختل عقلي بل لماذا " لا املأ البحر بصاقا وارميه على جبين ابوتي " كما قال كوران ؟ ! ايها القاريء الكريم ! ثق انا لست شيخا ذا كشوفات وكرامات ، ولا عرافا يقرأ الحظ والمستقبل ، الا ان كلما تصورتها وتنبات بها – عدا تجنني- " فليتاجل الى حين ! " تحققت في الواقع ورأيتها ، واكثرها بهجة ومسرة هي شفاء اخي (رزكار) وتعافيه من جنونه ويعمل حاليا بمصنع اهلي في احدى مدن كردستان !!